الشيخ نعيم قاسم

شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (ع)

حقوق الوالدين والولد

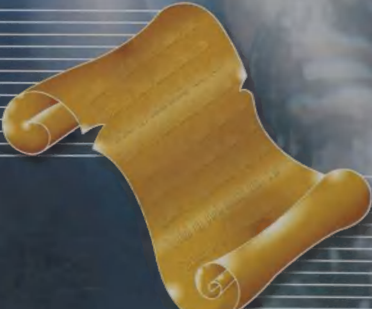

دار الهادي
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق الطبع محفوظة

الطبعة السادسة

١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

الإهـــداء

إلى المربّي الربّاني

الذي كان للعابدين زَيناً

وللساجدين سيّداً

وللسالكين موجهاً

وللباحثين عن الخلاص معلّماً

يا سيدي وإمامي، يا علي بن الحسين عليه السلام

وعلى وقع توجيهاتك،

إلى كل أسرة

لتضيء حياتها بنهج الإسلام

وتعيش الاستقرار بدقة الالتزام.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله الذي أنعم علينا بهديه، والصلاة والسلام على سيد الرسل محمدﷺ قدوة الإنسانية ومرشدها إلى سعادتها، وعلى آل بيته الأطهار مصابيح الدجى وبيارق الحق.

هذا هو الجزء الثاني من الحلقات الحوارية التلفزيونية حول رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدينعليه السلام. وهي رسالة قيِّمة فيها من الغنى الإيماني والفكري والتربوي والأخلاقي والاجتماعي ما يشكل دستوراً سلوكياً هاماً في حياة الأفراد والمجتمع.

وقد اخترت حقوق الوالدين والولد كمحور رئيس لهذا الجزء، ولا يخفى أن كثيراً من الضوابط بين الوالدين والولد مجهولة، فكانت هذه المحاور المبسَّطة والواضحة سبيلاً لتسليط الضوء على العلاقة بينهما مشفوعة بأمثلة توضيحية من الحياة اليومية. إنها تجيب على أسئلة ملتبسة في التطبيق العملي: عن ماهية الفرق بين الطاعة والإحسان؟ وما مدى مشروعية الضرب للأولاد؟ وهل الإيمان أو

الانحراف مسؤولية الأهل؟ وما الفرق بين تربية الصبي والفتاة؟ وكيف نجيب على أسئلة الأولاد المتعلقة بالجنس؟ وكيف يتصرف الولد مع والديه؟ وهل الولد مطلق الصلاحية ليختار ما يشاء في بيت والده؟.

ثم أضفت حق الأخ لانسجامه مع حقوق الوالدين والولد، فهو واحد من حقوق الرحم التي أوردها الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالته، واكتفيت بهذا المقدار تماشياً مع النص، لكني فصَّلت بالمناسبة عن الأخ في الله.

وقد أبقيت الحوار في الحلقات كما جرى مع بعض التعديلات والإضافات التي تناسب الكتابة وتحيط بالأسئلة المثارة حول الموضوع. أما الحلقة التي لم تطرح في الحوار التلفزيوني وهي حق الأخ، فقد كتبتها بدون أسئلة لأنها لم تكن حلقة حوارية.

فإذا جمعنا حقوق الجوارح السبعة في الجزء الأول، مع حقوق الوالدين والولد والأخ، يصبح المجموع أحد عشر حقاً من رسالة الحقوق التي تتضمن خمسين حقاً مختلفاً، وهي تشمل بالعنوان العام العلاقات الثلاث للإنسان: علاقته مع ربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع مجتمعه. وقد أوردت مجمل الحقوق قبل تفصيلها في الإطلالة التي تلي هذه المقدمة كما ذكرها الإمام زين العابدين عليه السلام.

إنها رسالة للإمام علي بن الحسين بن علي عليهم السلام، الإمام الرابع من أئمة أهل البيت عليهم السلام إنه ابن سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، وحفيد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد تميز بعبادته

حتى لقب بـ«سيد الساجدين» و«زين العابدين»، واشتهر بتوجيهاته وأسلوبه التربوي الذي برز في أدعيته في الصحيفة السجادية وغيرها من الأدعية وفي رسالة الحقوق التي نحن بصددها، وهي رسالة مسبوكة بلغة موجزة ومعبرة، وبمضمون إسلامي عميق وموضح للمسار، وبأسلوب إيماني وروحي مؤثر.

١٨ صفر ١٤٢٣هـ **نعيم قاسم**

١ أيار ٢٠٠٢م

إطلالـــة

اعتمدنا في استخراج نصّ «رسالة الحقوق» للإمام زين العابدين عليه السلام على كتاب: «تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله» للمحدث الجليل العلامة أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، وهو من أعلام القرن الرابع الهجري، كان معاصراً للعلامة الجليل الشيخ الصدوق(قدس سره) الذي توفي سنة ٣٨١هـ، وهو من مشايخ العلامة العلم الشيخ المفيد (قدس سره).

هذه هي مقدمة الرسالة التي ذكرت بإجمال الحقوق الخمسين:

إعلم رحمك الله أن لله عليك حقوقاً محيطة لك في كل حركة تحركتها، أو سكنة سكنتها أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلبتها وآلة تصرفت بها: بعضها أكبر من بعض، وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه لنفسه تبارك وتعالى من حقه الذي هو أصل الحقوق ومنه تفرع، ثم أوجبه عليك لنفسك من قرنك إلى قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل لبصرك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، وللسانك عليك حقاً، وليديك عليك حقاً، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً،

ولفرجك عليك حقاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال. ثم جعل عز وجل لأفعالك عليك حقوقاً، فجعل لصلاتك عليك حقاً، ولصومك عليك حقاً، ولصدقتك عليك حقاً، ولهديك عليك حقاً، ولأفعالك عليك حقاً، ثم تخرج الحقوق منك إلى غيرك من ذي الحقوق الواجبة عليك، وأوجبها عليك حقاً أئمتك، ثم حقوق رعيتك ثم حقوق رحمك، فهذه حقوق يتشعب منها حقوق، فحقوق أئمتك ثلاثة أوجبها عليك: حق سائسك بالسلطان، ثم سائسك بالعلم، ثم حق سائسك بالملك، وكل سائس إمام، وحقوق رعيتك ثلاثة أوجبها عليك: حق رعيتك بالسلطان، ثم حق رعيتك بالعلم فإن الجاهل رعية العالم، وحق رعيتك بالملك من الأزواج وما ملكت من الإيمان، **وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر اتصال الرحم في القرابة، فأوجبها عليك حق أُمك، ثم حق أبيك، ثم حق ولدك، ثم حق أخيك، ثم الأقرب فالأقرب والأول فالأول**، ثم حق مولاك المنعم عليك، ثم حق مولاك الجاري نعمته عليك، ثم حق ذي المعروف لديك، ثم حق مؤذنك بالصلاة، ثم حق إمامك في صلاتك، ثم حق جليسك، ثم حق جارك، ثم حق صاحبك، ثم حق شريكك، ثم حق مالك، ثم حق غريمك الذي تطالبه، ثم حق غريمك الذي يطالبك، ثم حق خليطك، ثم حق خصمك المدعي عليك، ثم حق خصمك الذي تدعي عليه، ثم حق مستشيرك، ثم حق المشير عليك، ثم حق مستنصحك، ثم حق الناصح لك، ثم حق من هو أكبر منك، ثم حق من هو أصغر منك، ثم حق سائلك، ثم حق من سألته، ثم حق من

جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل أو مسرَة بذلك بقول أو فعل عن تعمُّد منه أو غير تعمد منه، ثم حق أهل ملّتك عامة، ثم حق أهل الذمة، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرُّف الأسباب، فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفقه وسدّده.

الحلقة الأولى

حـــق الأم

قال الإمام زين العابدين عليه السلام : «فحق أمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحداً، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد أحداً، وأنها وقتك بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها، مستبشرة بذلك فرحة، محتملة لما فيه مكروهها وألمها وثقلها وغمها، حتى دفعتها عنك يد القدرة وأخرجتك إلى الأرض. فرضيت أن تشبع وتجوع هي، وتكسوك وتعرى، وترويك وتظمأ، وتظللك وتضحي وتنعمك ببؤسها، وتلذذك بالنوم بأرقها. وكان بطنها لك وعاء، وحجرها لك حواء، وثديها لك سقاء، ونفسها لك وقاء، تباشر حر الدنيا وبردها لك ودونك، فتشكرها على قدر ذلك، ولا تقدر عليه إلا بعون الله وتوفيقه».

* * * * *

١- إنسانة عظيمة

سماحة الشيخ للوهلة الأولى إذا قلت لك أمك ماذا تقول؟

يشعر المرء عندما يتعاطى مع أمه بأنه يتعاطى مع قمة الحنان،

ومع المستودع الذي حفظ المخلوق الجديد بطريقة نموذجية، لا نرى لها تفسيراً في الأنظمة والقوانين، إنما نجد تعبيرها من حنان الأم، من قلبها وعاطفتها ومن طريقة أدائها، ولذا يشعر المرء تجاه أمه بعاطفة حقيقية، وبتفاعل يتجاوز كل الأسس المادية وكل المعطيات المادية. يكفي أن يتذكر الإنسان ما صنعته هذه الأم معه، وكيف حنت عليه، وكيف حملته في بطنها، وبعد ذلك كيف تابعته ورعته عندما ولد في هذه الحياة. ولذا أشعر عندما أذكر لفظة أمي، أني أمام إنسانة عظيمة أعطت من طاقتها وحنانها من أجل أن تربي إنساناً سوياً في هذا المجتمع. وبطبيعة الحال هذا الشعور هو شعور ابتدائي وطبيعي عند الجميع، ما لم تأت مقومات وعوامل تسيء إليه، سواء بتربية الإبن وطريقة تعاطيه مع الأم، أو بطبيعة الأم وطريقة متابعتها لخصوصية ولدها.

٢- حملتك حيث لا يحمل أحد أحدا

سماحة الشيخ لنسير مع قول الإمام عليه السلام: «فحق أمك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحدا، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحد أحدا» ماذا يريد أن يقول لنا الإمام زين العابدين عليه السلام؟

المدخل الذي دخل منه الإمام زين العابدين عليه السلام هو مدخل هادف لإلفات نظر الإنسان تجاه أمه، لاحظ ماذا قال: «**أن تعلم أنها حملتك**»، بطبيعة الحال كل واحد يعلم أن أمه حملته، لكن عليك أن

تتذكر دائماً وعليك أن تعيش دائماً صورة هذا العلم، لأنك بمجرد أن تنسى أيها الإنسان بأنها حملتك وأنها تعبت من أجلك وأنها سهرت عليك الليالي، بمجرد أن تنسى هذه الأمور فقد لا تتعامل مع أمك كما يجب وكما تستحق. إن مشكلة المشاكل في علاقة الأولاد مع أمهم، أنهم يتعاملون معها بطريقة ندّية، أي أنهم مقابلها وكأنهم غرباء عن بعضهم البعض، ينسى الإبن هذه المرأة الطيبة هذه الأم التي بذلت في لحظات حاجته للبذل بطريقة سخيّة، ولذا بدأ الإمام عليه السلام بالتذكير «أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحداً» إن مميزات هذا الحمل هو أنه متعب وفيه تكاليف باهظة تتحملها الأم، على المستوى الجسدي والنفسي والصحي وعلى كل المستويات، ومع ذلك تتحمل هذا العبء الكبير الذي لا يتحمله أحد تحت أي عنوان آخر.

لنجرِ مقارنة بسيطة بين الأم في تعاملها مع ولدها وبين الانسانة العادية في تعاملها مع إبن الأخرى، هل يا ترى نستطيع أن نجد مقارنة منطقية وموضوعية في التعامل؟ قد تشعر أي امرأة تجاه ولد من الأولاد بحنان معين وعاطفة معينة، لكنها ليست مسؤولة في أن تتحمله وأن تتحمل مشاكله وتعبه، بل تعلن رفضها في مواجهة الأعباء المترتبة على الأمومة إلا ما ندر، لكنها من موقعها كأم تفكر بطريقة مختلفة تماماً، وتتحمل خارج دائرة التوقعات. هنا تستحضرني تلك الحادثة مع أمير المؤمنين علي عليه السلام، عندما أراد أن يحكم للولد إلى أي أم يتبع لأنهما ادّعتاه،

كل واحدة تقول بأنه ولدها، ولا تساعد المعطيات للتحديد بدقة لمن هذا الولد. لجأ الإمام علي عليه السلام إلى أسلوب حكيم ليستكشف خلفية الأمومة عند الأولى أو الثانية، **«فدعا بمنشار، فقالت إحداهما: ما تصنع به؟ قال: أجعله نصفين. قالت إحداهما: قد سمحت بحقي لها. فقال: هذا ابنك»**[1]. لأنها حاضرة أن تضحي بأي شيء من أجل أن تبقيه على قيد الحياة. إنَّ موقعية الأم وطبيعتها مختلفة عن طبيعة الأخرى.

٣- تضحية الأم وشكر الإبن

كيف يمكننا إجمال المعاناة التي ذكر مفرداتها الإمام زين العابدين عليه السلام لنصل إلى قوله: «فتشكرها على قدر ذلك ولا تقدر عليه إلا بعون الله وتوفيقه» وما هي موقعية كل من الأم والإبن بالنسبة للآخر؟

لو استعرضنا ما تقدمه الأم لولدها من وقت بداية الحمل إلى نهايته ثم ولادته وإرضاعه ورعايته وهو طفل حتى سن كبيرة، سنجد أن مستوى العطاء نموذجي، فهو تضحية متواصلة كل ليلة بليلة وكل لحظة بلحظة، بعض الأمهات لا ينمن الليل بسبب طبيعة ولدهن، خاصة إذا كان عنده بعض المعاناة في جسده أو في معدته، بل تكفي الأشهر التسعة للحمل فهي تعبير عن عناء استثنائي وكبير، وفي هذا

(١) مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي - ج٩ص٣٦١.

يقول تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ .[1] أنظر لهذا المستوى من التعب والعناء وفي كل لحظة من اللحظات، ماذا يمكن أن يفعل الولد مع أمه طوال حياته؟ يمكن أن ينفق عليها وأن يحترمها ببعض اللياقات، ويتواصل معها، لكن لو جمعنا كل هذه العطاءات مهما بلغ مستواها، لا يمكن أن تحاكي شعور جسدها وأنينه وتعبه وألمه. إن الإبن يعطي أمه من الخارج مع الحنان، بينما تعطي الأم من الداخل، من قلبها وعقلها وجسدها، هي جزء لا يتجزأ من معاناة الولد بينما هو ليس جزءاً لا يتجزأ من معاناتها. قد تكون مريضة ويتأثر عليها، لكن لا يتأثر جسده، أما هي فحملته وهناً على وهنٍ وهذا مستوى عال من تأثر كل الجسد.

وفي هذا يعبر الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله: «وأنها وقتك (حمتك) بسمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها وجميع جوارحها» أي لم تبق قطعة من الجسد إلا وساهمت في حمايتك ورعايتك. إنك في داخلها قبل الولادة «وكان بطنها لك وعاء»، وتحضنك باحتواء لك بعد الولادة «وحجرها لك حواء»، وتسقيك الحليب من ثديها وهو خلاصة غذاء جسدها «وثديها لك سقاء»، وتحميك بنفسها من أي عارض «ونفسها لك وقاء».

بل أكثر من هذا فقد آثرتك على نفسها، واستبدلتك بها، وأعطتك

(١) سورة لقمان الآية ١٤.

ما كان لها، وتحملت آلاماً كان يمكن أن تتحملها أنت لو لم تتصد لها بدلاً عنك «فرضيت أن تشبع وتجوع هي، وتكسوك وتعرى، وترويك وتظمأ، وتظللك (من الشمس والرياح) وتضحي (بالتعرض لها)»، وهي تقدم لك النعيم واللذة والراحة مع تعبها وقلة نومها «وتنعمك ببؤسها، وتلذذك بالنوم بأرقها»، إنها تواجه الحر والبرد لمصلحتك، فما كان يشكل فائدة لك يسرته، وما كان مضراً لك حمتك منه «تباشر حر الدنيا وبردها لك ودونك».

مع كل هذه المعاناة فهي مستأنسة مستبشرة بالمولود الجديد، فرحة بما ستحصل عليه، تتحمل الألم والمكروه والثقل والهم والغم دون أي رفض، منتظرة للأمر الإلهي في دفع هذا المولود بقدرة الله إلى خارج جسدها ليعيش على هذه الأرض، حيث تواكبه بعطاءاتها وحنانها وتضحياتها.

لقد رعتك و تريدك أن تبقى حياً مهما كانت وضعيتك، بينما حَمَلتها أنت وتنتظر موتها رأفة بحالها، لأنها عجوز وقد انتهت طموحاتها، وربما كانت تعاني من العجز، فلعل راحتها بموتها.

إن مستوى تحمل الأم لولدها والعناية به يصل إلى أقصى وأفضل الدرجات، بينما عناية الابن هي رد لهذا الجميل ومحاولة للبر بحسب توجيهات الشرائع المقدسة، إلا أنه لا يرقى الى مستوى ما أعطته الأم في أحسن حالاته. وعندما يذكر الإمام زين

العابدين عليه السلام «فتشكرها على قدر ذلك ولا تقدر عليه إلا بعون الله وتوفيقه» فهو يختصر تلك الفوارق الحقيقية الموجودة بين عطاءات الأم وعطاءات الإبن، الذي يحتاج إلى تسديد إلهي ليكون موفقاً، وعليه أن يتذكر دائماً الأوامر الإلهية في الدعوة الى رعاية الأم والاهتمام بها، ليرد لها بعضاً مما قدمته وما أعطته، فيكون شاكراً وباراً لأمه.

٤- الجنة تحت أقدام الأمهات

ما المقصود بـ «الجنة تحت أقدام الأمهات»؟

الحديث الشريف يقول: «**الجنة تحت أقدام الأمهات**»(١)، والمقصود به أن الأم التي رعت ولدها وأحسنت تربيته وقامت بواجباتها والتزاماتها تجاهه، هذه الأم هي انسانة لها مقام خاص، ولا بد أن تدخل الى الجنة مع كل ما أعطته وقدمته، وكانت قد راعت فيه كل الضوابط السليمة والصحيحة والشرعية في عملية التربية، لأنها وفت بالتزاماتها وقامت بما عليها، ولذا الجنة تحت أقدام الأمهات. بعض الأمهات لا يكنّ في الجنة بشكل طبيعي، أي ليس مجرد صفة الأمومة تُدخِل إلى الجنة، بل لا بد من الأخذ بعين الاعتبار قيام الأمهات بالتكليف العام الملقى على عاتقهن، وبطبيعة الحال لديهن رصيد مسبق هو الحمل نفسه، إنه رصيد لمصلحة

---

(١) مستدرك سفينة البحار ـ ج١٥ ص١٨٠.

الأم، والرعاية عند الطفولة هو رصيد كبير لمصلحتها، والأعباء المصاحبة للتربية هو رصيد لها،هذه الأرصدة التي تحصل عليها الأم هي لمصلحتها، فإذا قامت بما يتوجب فيما بعد ضمن الخط الصحيح والمستقيم، معنى ذلك أنها ستفوز بالجنة حكماً فالجنة تحت أقدام الأمهات. إن الأمومة تسهل الدخول إلى الجنة إذا ما واكبتها الاستقامة والصلاح.

٥ - حق الأم ثابت

معروف أن هناك أمهات غير صالحات يلدن أبناء صالحين، هل يلغي الإسلام هنا تأدية حق الأم؟

إن علاقة الإبن مع الأم في رعاية حقها هي علاقة ثابتة في التشريع الإسلامي بكل المعايير، سواء أكانت الأم صالحة أو لم تكن صالحة، وهي محددة في دائرة قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾[1]، وهي قاعدة عامة تشمل الأم والأب. فالمصاحبة بالمعروف والوفاء لهذه الأم بأن تُشعرها كإبن، أنك بار تحترم وتراعي أمومتها،بل يصبح المطلوب من الإبن البار المؤمن مع الأم الفاسدة أن يُشعرها بعظمة الالتزام الديني في الوفاء على الرغم من مسلكها وأخطائها، وربما يشكل هذا رادعاً وتوجيهاً لها. إذاً في مسألة تبعيتها في الشرك

(١) سورة لقمان الآية ١٥.

والانحراف لا يجوز للإبن أن يسمع لها وأن يطيعها في هذا الأمر، أما فيما يتعلق بالوفاء والإحسان والمصاحبة بالمعروف فهذا أمر يجب الالتزام به. بعض الأشخاص يدَّعون أنَّ من حقهم أن يصرخوا عليها وأن يضيقوا عليها على قاعدة أنها غير مؤمنة، لكن أين قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾[1] هذه الآية الكريمة لا تتحدث عن رفض قول: أف للأم المؤمنة فقط، بل هي عامة لكل أم وأب.

٦ - التقصير لا يلغي حقها

أحد الأشخاص يقول: إن أمه لا حق لها عليه، فعندما طلقها والده لم تلتفت إليه بشيء، فهل لها حق عليه؟

لا تنعدم مسؤولية الإبن في الإحسان إلى أمه إذا قصَّرت بحقه وكانت مخطئة، فالتوجيه الإسلامي لتقدير الأم مرتبط بصفتها. ويجب التدقيق في حالة عدم رعاية الأم لولدها، ربما يكون الأب هو السبب بحيث حرمها بعد الطلاق من حقها في الاتصال بولدها، أو كانت الظروف مانعة بسبب تباعد بلدي تواجد كل منهما، أو كانت ظروف الأم قاهرة، بل حتى لو كانت مخطئة، فإننا أمام صلة رحم أرقاها في علاقة الأبناء بالوالدين: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[2]،

(١) سورة الإسراء الآية ٢٣.

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٣.

يكفي ما عانته أثناء الحمل والولادة، فإذا كانت مقصرة بعد ذلك في واجباتها فحسابها عند الله تعالى، وعلى الولد أن يقوم بواجبه تجاهها.

٧ - بين الطاعة والإحسان

أحياناً تستغل الأم الجانب العاطفي المتدفق من الإبن باتجاه أمه أو العكس، وتطلب منه مثلاً أن يدرس مادة الرياضيات بدل الأدب وإلا لن تكون راضية عنه،ماذا يفعل؟

هذا ليس مورد رضا أو عدم رضا، إن الاختيارات هي للولد في سن البلوغ وما بعده، أما مراعاة الأم فيدخل في دائرة الإحسان ولا يدخل في دائرة الطاعة وسأميز بين الأمرين.

الطاعة هي الالتزام بتنفيذ الأمر، أما الإحسان فهو مراعاة تنفيذ رغبة الآخر وهذا يشمل الأم والأب، والإحسان مطلوب تجاههما بعد البلوغ والرشد، بأن تؤخذ رغبة الأم والأب بعين الاعتبار من قبل الولد حتى لو خالفت رغبته، لإدخال السرور إلى قلبيهما. مثلاً لو افترضنا أن مستقبل الولد لا يتأثر سواء درس هذه المادة أو الأخرى، وأمه ترغب واحدة من الاثنتين، فلا مشكلة أن يحسن إليها ويراعي رغبتها. لكن إذا اعتبر مصلحته الأكيدة في الأمر الآخر، فالقرار عندئذ يعود له، ولا تستطيع أن تلزمه تحت عنوان الطاعة، إذ بعد البلوغ تكون علاقته مع أمه

مرتبطة بدائرة الإحسان وليست مرتبطة بدائرة الإلزام.

هنا يوجد موضوع دقيق جداً. إن وجود الولد داخل الأسرة، ورعاية الأسرة لشؤونه، بحيث ينام ويأكل ويشرب داخل البيت الواحد، يستلزم من قبله الانضباط القانوني ومراعاة الضوابط داخل الأسرة، فالأب يعطي صلاحيات للأم أن نظّمي البيت كما تشائين، وامنعي الولد أن يجلس هنا أو هناك. بعض الأولاد يتجاوز فيقول بأنه يحب أن ينام في هذا المكان وأن يجلس في ذاك المكان، لكنَّه ملزم بالطاعة، لأن المكان ليس له، والتفويض معطى من الأب للأم بأن تتصرف في هذا المكان، فهو لا يستطيع أن يفعل ما يريد لأنه يتصرف بملك الغير، وما لم يحرز رضا الآخر في ملكه فهو لا يستطيع التصرف. إذاً نحن أمام القواعد العامة المعتبرة في حقوق الناس مع بعضهم البعض والتي تطبق داخل الأسرة، ثم يدخل البر والإحسان والمراعاة التي لها علاقة بالمسايرة والتنازل والطاعة لخصوصية الأمومة والأبوة.

٨ - طاعة الإبن لها صغيراً وإحسانه إليها كبيراً

سماحة الشيخ إلى أي حد هو حق الأم؟

الأم مسؤولة عن العملية التربوية للإبن، كما أن الأب مسؤول أيضاً، فالأم ترعى ولدها منذ طفولته وتهذبه وتحسن أخلاقه وتوجهه، وأفضل نموذج في التربية هي التوجيهات الإسلامية التي

أعطيت للأم، فإذا قامت بعملية التربية والولد في سن صغيرة، فمن الطبيعي أن يتم التركيز على طاعة الولد الصغير لأمه، لأنه لا يمكن أن تتم عملية تربوية سليمة مع تحريض على عدم الطاعة، ولأن الصغير لا يملك قدرات عقلية وجسدية ولا يملك مستوى مساعد ليميز بين الأشياء حتى نترك له الحرية في الطاعة أو عدمها، لذا نقول إنه ملزم بطاعة أمه في عملية التربية في حالة الصغر. وهذا الأمر يتقاسمه كل من الأب والأم، بسبب توزيع الأدوار في العملية التربوية، آخذين بعين الاعتبار المساحة المشتركة بينهما وضرورة الاتفاق عليها، وما يعود للأب من موقع قواميته داخل الأسرة، وللأم من موقع مواكبتها لطفلها، فيفترض أن لا يكون هناك تنازع بحيث تربي الأم بطريقة ويربي الأب بطريقة أخرى، وإلا ضاع الولد. وصل هذا الإبن إلى مرحلة البلوغ عندها يكون الحديث عن الإحسان إلى الوالدين الذي قد يصل إلى دائرة الطاعة، ما لم يؤد ذلك إلى ارتكاب معصية، وإلا ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾. فبإمكان البالغ التمييز وتحمل مسؤوليته الشرعية.

٩ - التدخل في حياة الأبناء

إن المجتمع يعيش بعض الحالات المعقدة بين الأب والإبن وبين الأم والإبن، ونرى اليوم زيجات تهدم من وراء تصرف أمهات يتدخلن في حياة أولادهن بشكل دائم، ما رأي سماحتكم؟

الأم التي تتصرف من موقع أمومتها على أساس التحكم بحياة ولدها كائنا ما كان عمره ترتكب خطأً تربوياً كبيراً، إذ لا يمكن التعاطي مع ابن عشرين وثلاثين وخمسين سنة كما يتم التعاطي مع ابن خمس أو عشر سنوات، فدورها أن تربيه صغيراً وتساعده عندما يبلغ، وتعينه على توفير المقدمات المناسبة والنصائح الملائمة ليأخذ قراراته ويبدأ بالاستقلال التدريجي من داخل البيت انتهاء إلى خارجه.

إن التدخل في الحياة الزوجية للولد (الإبن أو البنت) ومتابعة تفاصيلها، وإبداء الرأي الملزم في كل مفردة من مفرداتها، سيؤدي إلى تحطيم الحياة الجديدة الناشئة. صحيح أن الحجة في ذلك هو الإرشاد والتوجيه، وعدم قدرة الولد على إدارة شؤونه، لكنها ليست كافية لسلب قدرة الولد واستقلاله، بل يجب توفير كل السبل المناسبة لمعالجة الضعف في الإدارة والاهتمام بالاستقلال المسؤول في الحياة الزوجية.

إن احترام الولد لأمه لا يعني الهيمنة على شخصيته، وهنا أسأل هذه الأم: ألم تتمني اللحظة التي تصلين فيها إلى الاستقلال الذاتي في بيت الزوج؟ ألم تعيشي الرغبة في التخلص من سيطرة الأهل وطلباتهم لتكوني منطلقة في قراراتك من دون تدخل الآخرين؟ إذاً كيف تتمنين هذا الأمر ولا تدعين ولدك يحقق أمنيته ويقرر شؤون حياته؟! على الأم أن ترتاح، فهي قامت بما عليها من التربية، وتُعتبر سعادتها من سعادة ولدها،

فالحياة الاجتماعية لا تستقيم مستقرة مع كثرة التدخلات. هذا الكلام ليس ضد الأمهات بل هو معهن، لأننا عندما نتحدث عن الموضوع الشرعي نساعد الأم ونساعد الإبن ليعرف كل واحد منهما حدود دوره ومسؤولياته، حتى لا يتم تجاوز الحقوق والواجبات، لأن معظم مصائبنا هي في تجاوزها.

١٠ – رأي الأم في زواج البنت

ما رأيك في الأم التي تريد أن تزوج ابنتها بحسب قناعتها،هل هناك مشكلة في ذلك؟

من حق الأم أن تبدي وجهة نظرها وأن تقدم النصيحة،لكن لو افترضنا أن البنت قد اختارت اختياراً معيناً،فعلى المستوى الشرعي ليس للأم حق الطاعة في موضوع اختيار الزوج، نعم رأي الأب وموافقته بالنسبة للبنت البكر مطلوب، فالأم تستطيع أن تبدي وجهة نظرها، ومن المفيد أن تراعي البنت أمها في الإحسان إليها وبالأخذ بعين الإعتبار بعض نصائحها، فلو افترضنا وقع الخلاف بين البنت والأم في اختيار الزوج، فالقرار يكون للبنت ولا تكون مأثومة في ذلك، وعلى الأم أن تدرك أن حق هذه البنت أن تختار وهي تتحمل مسؤوليتها.

١١ - تأثير الأمهات في الأبناء

سماحة الشيخ، من خلال تجاربك إلى أي حد استفادت المقاومة الإسلامية من الأم الصالحة التي تدفع أبناءها للجهاد؟ وكم يتأثر الأبناء بأمهاتهم؟

عندنا نماذج رائعة جداً من الأمهات اللواتي يعطين الدفع الحقيقي لأبنائهن في عمل الجهاد، وعندما تكون الأم مقتنعة بهذا الخط، فإن نفسية الولد الذي يذهب إلى مواقع الجهاد تكون نفسية مرتاحة، لأن عاطفته مع أمه وحبه لها يشعره بمسؤولية معينة تجاهها، فإذا وجدها تدعو له وتنسجم مع خطه، يكون اندفاعه اندفاعاً مختلفاً عن ذاك الذي يشعر أنه في مشكلة مع أمه وهي تتكلم بشكل سلبي عن توجهه الجهادي، هذا الإنسان يكون مُتعَباً لأنه لا يرغب بالخلاف مع أمه ويريد الإحسان إليها، لكنه يتبع تكليفه في الجهاد، فهو يستعين بالله تعالى ويستمد روحانية من إيمانه ليخفف عنه هذا الألم.

إن إيمان الأمهات ينتج أولاداً صالحين مجاهدين، فهي زرعة الأم ومن الصعب أن تتبدل أو تتغير، فالأم الصالحة ينعكس تأثيرها الصالح، كما أن الأم الفاسدة ينعكس تأثيرها الفاسد، وعلى العموم فالأولاد يتأثرون بأمهم بشكل كبير، ويأخذون صفات كثيرة من صفاتها أكثر من الأب، بسبب رعايتها لهم بشكل تفصيلي.

إن الأم عندما تحمل روحية جهادية، وتحمل مسؤولية الدفاع عن الأرض والدفاع عن الإنسان وتنفيذ الأحكام الشرعية، فهذا سينعكس في داخل الأسرة وخاصة على الأبناء في العمل الجهادي، وها هي الآثار واضحة، لأن الموضوع برمته موضوع تربوي. لكن لا نستطيع القول إنه بمجرد إن تكون الأم مؤمنة فسيكون الأولاد مؤمنين حكماً، أو أن تكون الأم فاسدة فسيكونون فاسدين كذلك، وإن كان مؤدى القاعدة التربوية، إذا أحسنت الأم المؤمنة تربيتها لأولادها وكانت الظروف ملائمة فسينشأ الأولاد على الإيمان، وإذا عملت الأم الفاسدة على تربية أولادها على هواها فسينشأ الأولاد فاسدين، لكن مع ذلك تحصل الاستثناءات أيضاً، لوجود معطيات تربوية أخرى مؤثرة في حياة الأولاد، ولا يقتصر الأمر على تربية الأم فقط.

بعض الأمهات اللاتي زرناهن يعطين المعنويات أكثر مما نعطيهن، أكثر من هذا كانوا يحذروننا من صعوبة تقبل بعضهن خبر استشهاد ابنها، وفي إمكانية تعرضها لانتكاسة صحية مفاجئة، وإذ بنا نفاجأ أنها انقلبت رأساً على عقب مع شهادة إبنها، بالعزيمة والقوة التي فاجأت الجميع، وهذا كله مرتبط بالأرضية الصالحة الموجودة عند الأم.

١٢ - الهوى والطاعة

هل يعتبر الولد عاقاً إذا لم يستمع الى منع أمه من الذهاب إلى قتال العدو؟

الطاعة ليست موجودة مع وجود التكليف الشرعي عند الولد، ومع بلوغه عمراً يتحمل معه مسؤوليته في التكليف الشرعي، فمع نفير الواجب العيني عليه، لا يستطيع أحد أن يوقف حركة الحياة على عواطف ومشاعر لا تكون منطلقة من مسؤولية، وإنما منطلقة من أهواء ومشاعر. كما نقول بأننا نرفض الأهواء عند الإنسان بشكل عام والتي تؤدي إلى عدم أداء الواجب، نرفض أيضاً الهوى للأم عندما لا يكون مستنداً إلى أشياء موضوعية. وهذا لا ينفي أن يُبقي الولد في حسابه الإحسان لأمه في المعاملة وفي إخراج الموقف ومتابعته، بل لو كان الأمر غير محصور به فعليه المراعاة، أما التطبيق فهو بحسب الحالة.

١٣ - التوجيه الفاسد

من الجانب الآخر من مجتمعاتنا ماذا نقول عن الأم التي تشجع بناتها للذهاب إلى البحر وفي أجواء مختلطة، وكذا على الرقص والسهر وعدم مراعاة الحجاب في اللباس..؟

الأم الصالحة بحسب فهمنا هي الأم التي تنسجم بأوامرها

وتوجهاتها مع ضوابط الشريعة المقدسة،أما الأم التي ترتكب هفوات أو أخطاء أو معاصي فهي بمقدارٍ ما مخطئة، بقدر هفواتها ومعاصيها وقد تصل إلى الفساد. وهنا تدخل المعصية من بابها الواسع لا بعنوانها كأم فقط،وإنما كإنسانة مسؤولة، فإذا شجعت الأم على أمور فيها فساد للأسرة، فهذا له علاقة بعقليتها وايمانها وتربيتها، وهي لا تؤمن بأن الصلاح يكون بالحجاب مثلاً، فتدعو بناتها الى عدم الحجاب، ومن المؤكد أن هناك أمهات تحارب بناتها إذا أردن لبس الحجاب تحت عنوان سلبياته في النظرة إليها بأنها غير جميلة ومتخلفة، وهذا النموذج موجود في مجتمعنا. هذا الأمر ينطلق من تربية وعقلية ونظرة إلى الحياة والمسؤولية.

لذا نحن أمام نموذجين: الأول:أم تلتزم بأحكام الشريعة المقدسة، وتطبق تعاليمها كافة، فحلالها حلال وحرامها حرام دون أن تتأثر بضغوطات المجتمع وانحرافاته. الثاني:أم لا تلتزم بأحكام الشريعة المقدسة أو تلتزم ببعضها ولا تلتزم بالبعض الآخر، وبمقدار ايمانها ستوجه أولادها، من هنا عندما توجه أولادها الى أمور فاسدة سواء بالذهاب إلى الخمارات أو الاختلاط المحرم أو التشجيع على أمور فاسدة أخرى، هذا التوجيه له علاقة بخطئها في التربية والمنهجية وبانحراف في المسلكية غير المنسجمة مع الإسلام.

١٤ - الغرب ومجتمعنا

ما هو الفرق بين علاقة المرأة بابنها في الغرب وفي مجتمعنا؟

يكاد يشعر الإنسان أن الأمومة في الغرب الى زوال، لأن بناء المجتمع الغربي لا يهتم بتكوين الأسرة، أمّا الإسلام فهو يركز على حماية الأسرة، ويرسم حقوقاً للوالد والوالدة والأبناء وتنظيم العلاقة بينهم، وفق أحكام شرعية كثيرة تضبط حركة الأفراد داخل الأسرة، مما يؤدي إلى الراحة والمودة والسكن والاستقرار. وقد راعت الرسالات السماوية الأخرى خصوصية الأسرة، فالنصرانية اعتبرت العائلة مقدسة،ولها ضوابط مشددة، تنسجم مع التوجهات الموجودة عندهم.

في المجتمع الغربي وفي العقلية العلمانية عموماً، هناك نوع من التدمير للأسرة، على قاعدة أن الإنسان شخص يعيش لنفسه ولذاته وليومه ولا يعيش للآخرين، فالفتاة تفكر بأنوثتها وجمالها، فلا داعي لتحمل مسؤولية الحمل وما يترتب عليه من آثار على جسدها، وكل الأضواء الإعلامية والتوجيهية وحفلات ملكات الجمال وعارضات الأزياء وأدوات الزينة موجهة إلى هذه الخصوصية، والولد يربكها في حركتها الاجتماعية والاقتصادية فلا مانع للتخلص منه لو وقع الحمل خطأً أو قبل الزواج، وإذا كانت مقتنعة بتحمل المسؤولية وتيسر تربيته من خلال الحاضنة، فإنها تشرف عليه كما تشرف على أي قطعة من

أثاث المنزل. هذا الوصف ليس مبالغاً فيه، بل هو يمثل الاتجاه الذي ينمو تدريجياً ويزداد يوماً بعد يوم. أما ما نراه من اهتمام أسري في بعض الأماكن فله علاقة بالعامل الديني. إن الأمومة عيش للآخرين والأبوة عيش للآخرين حتى البنوة عيش للآخرين، ففي مجتمعاتنا وبتأثير من الدين تعتبر العلاقة الرحمية محترمة عموماً، وتكوين الأسرة أساس، ومكانة الأم عظيمة في نظر الناس، وتعتبر الفتاة أن الأمومة إحياء لها ولاستمراريتها.

في الغرب يفكر الشاب و الفتاة أن يعيشا مع بعضهما البعض كأنهما زوجان، دون أن يكون بينهما رابط زواج، وبعض الأحيان يتفقان على رعاية أي ولد من أي ميتم أو أماكن الرعاية فهو أسهل من موضوع الإنجاب. إذاً التعامل ليس تعاملاً عادياً وطبيعياً وهو مخالف للفطرة، إضافة إلى حالات الإنجاب من الزنا وهي كثيرة جداً، فعندما تنجب ولداً من الزنا ترسله الى ميتم أو أي دار رعاية بشكل طبيعي، وتمضي تعهداً بأنها قطعت كل صلتها به، مع إخفاء كل المعالم التي توصل الى هذه الأم في المستقبل، وتكون راضية ومقتنعة. هذا النوع من السلوك ينعكس على الأبناء وسلوكياتهم. فقد ذكر لي أحدهم قصة ولد مع أمه: هذه الأم كبيرة في السن وعندهم نوعان من الإيواء: أن يبقوا الكبير في سكنه وهم يقومون بزيارته، أو أن يكون في مأوى جماعي، وقد اختارت الأم مبنى سكن الولد نفسه، فكان يمر أسبوعان وثلاثة أسابيع وشهر لا

يسأل عنها إلا نادراً ولا أولاد آخرين لها، وإذا كان يريد زيارتها فمدة الزيارة دقيقة أو دقيقتين. ماتت الأم في داخل المنزل وتأخرت الرعاية في تفقدها، واشتم الجيران رائحة قوية فاتصلوا بالمعنيين، وتبين أنها ميتة منذ ٤٨ ساعة ولا أحد يعرف ذلك.

الحلقة الثانية

حـق الأب

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأما حق أبيك فتعلم أنه أصلك وأنك فرعه، وأنك لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك، فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، واحمد الله واشكره على قدر ذلك، ولا قوة إلا بالله».

******

١ - لولاه لم تكن

كيف نفسر ما أورده الإمام زين العابدين عليه السلام من حق الأب؟

قول الإمام زين العابدين عليه السلام «فأن تعلم أنه أصلك وأنك فرعه وأنك لولاه لم تكن»، حتى يفهم الإنسان بأنه مدين لمن كان سبباً مباشراً لوجوده في الحياة، وهذه مسألة مسلّم بها، وهي مرتبطة بما أكمله الإمام عليه السلام «فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك، فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه». إذا رأيت نفسك قوياً فأبوك أصل هذه النعمة، لأنه السبب المباشر لهذا الأمر بناء لخلق الله تعالى، وإذا

وجدت أنك تتمتع بقدرات فالأساس هو الأب، فلا تنس أن كل ما تراه في شخصك وبدنك وقوتك وصحتك، أصله وبدايته من الأب، وهذا يولّد مسؤوليات عند الابن في طريقة التعاطي مع والده، الذي تنشأ له حقوق على ولده.

إن الالتزام بالضوابط الشرعية التي أمرنا بها الله تعالى حول كيفية التعاطي مع الأب، تجعلنا مبرئي الذمة،ونكون قد التزمنا بأداء حق الأب بحسب قدراتنا وطاقاتنا. وبما أننا في هذا الوجود وقد تيسرت لنا هذه الحياة بواسطة الأب، فلا بد أن نحمده على عطاءاته، وأن نشكر الوالد على قدر ما كان مسبباً للنعم، وهذا غير متيسر إلا بالاستعانة بالله تعالى متبعين إرشاداته وأوامره في هذا المجال، وبهذا نكون قد قمنا بما علينا. ولا تقاس الأمور بمقدار ما يعطي الإنسان من بدل، إنما تقاس بمقدار ما يملك من قدرات وطاقات ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾[1]، أما أن يُواجه الابن من قبل الأب، الذي يقول له: أنا سبب وجودك فماذا فعلت لي؟ أو أنا ربيتك فلن تستطيع رد جميلي! أو أنا أنفقت عليك وأنت بحاجة لي! فهذا لا ينسجم مع خلق الله تعالى ومع الواقع الموضوعي. إذ من الطبيعي أن يكون الأب سبباً للوجود ومربياً ومنفقاً، ولا يستطيع الابن أن يكون كذلك، إنما يستطيع أن يكون باراً محسناً منفقاً على والده عند الكبر، وهذا يدخل في دائرة موقعية وقدرة كل منهما. فالمقارنة خاطئة، لأن دور الأب

(١) سورة البقرة الآية ٢٨٦.

يختلف عن دور الابن وبالعكس، ويتحمَّل كل واحد منهما المسؤولية على أساس دوره وواجباته، وسيأتي دور الإبن عندما يصبح أباً ليقوم بمهامه من موقعه، فيكون مطالباً بحسن الأداء تجاه مولوده، فالمقارنة الممكنة بين الأب والابن تكون على أساس العمل الصالح والتقوى بحسب موقع كل منهما ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾(١).

٢ - حدود حق الطاعة للأب

ما هو حق الأب في الطاعة؟

سنقسم هذا البحث إلى عدة فقرات لتسهيل فهم حق الأب، وهو يشمل الصبي والبنت عند الحديث عن الولد أو الابن إلاَّ ما استثني:

أولاً: الفترة المتعلقة بالصغر إلى سن البلوغ، ومن الطبيعي أن يكون حق الطاعة فيها للأب، الذي لا يمكنه إدارة العملية التربوية لهذا الولد إلا بطاعة الولد له، وكذلك تكوين الأسرة في الإسلام وجعل القوامية والإدارة عند الرجل تستلزم أن تكون الطاعة من قبل الأولاد لوالدهم، قد ذكرت في الحلقة السابقة بأن الأم لها أيضاً حق الطاعة، ضمن إطار تقسيم الأدوار بين الأب والأم، بحيث إنها في إدارتها الداخلية وفي عمليتها التربوية المنسقة مع الأب، لها حق الطاعة من فترة الصغر إلى سن البلوغ.

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣.

ثانياً: تجاوز الولد سن البلوغ وأصبح مكلفاً على المستوى الشرعي، ولكنه موجود في داخل البيت، والأب هو المالك والمسؤول والمنفق ورب البيت، فالطاعة من قبل الابن للأب تكون في إطار ودائرة إدارته للمنزل ولطبيعة الأسرة، وتعتبر كل التصرفات التي يقوم بها الولد داخل البيت هي ضمن دائرة ملكية ومسؤولية الأب، وقد ذكرنا أن الأم تدخل هنا في دائرة التفويض من الأب. أما في الأمور الشخصية التي لها علاقة بمستقبل الابن وقراراته العامة، ماذا يريد أن يعمل؟ كيف سيبني مستقبله؟ ماذا سيتعلم؟ فليس للأب أن يفرض على ولده هذه الأمور، لكن على الابن أن يستفيد من النصيحة،وليس واجباً عليه أن يكون مطيعاً لكامل رغبات الأب كما يريد إذا شعر أنها تضر بمستقبله، لأن الولد أصبح مكلفاً ومسؤولاً ويريد أن ينشئ مستقبله. نعم في داخل البيت والأمور المتعلقة بالبيت والإنفاق فهو لا يستطيع التصرف كما يحلو له، لأنه ضمن دائرة ملكية وصلاحية الأب ومسؤوليته، والأب هو الذي يقرر، أمّا فيما يتعلق بمسؤولية الابن ما لا ينعكس على دائرة سلطة الأب، فمن حقه أن يأخذ القرار المناسب.

ثالثاً: الإحسان وهو مجاراة رغبة والده كما يحب،وفيه أجر كبير طالما أن هذا الأمر لا يؤثر عليه، وينسجم مع قناعاته، أو لا يترتب عليه انعطاف جذري في حياته. فلو واجه الابن أمرين، أحدهما يرغبه كثيراً والثاني أقل رغبة، فالإحسان يكون بمسايرة رغبة الأب. لكن ليس عليه أن يكون مطيعاً في كل أمر، بمعنى أن يلتزم بكل أمر من

الأب خارج دائرة صلاحياته في موضوع الإنفاق والإدارة الأسرية. أما في دائرة الإنفاق فالصلاحية للأب وهو المسؤول عن قراره، وقد يمارس ضغطاً في هذا الشأن، فالولد معني بأن يوازن قدرته وأن يقبل معادلة الضغط لاعتبارات يراها من مصلحته، فالطاعة هنا تأخذ شكل المقايضة والتبادلية ولا تأخذ شكل الإلزام.

لنفترض أن الولد اختار اختصاصاً أو سفراً أو منزلاً يرتب نفقات مالية على الأب، يستطيع الأب أن يرفض، سواء لعدم قناعته أو لعدم قدرته على الالتزام المالي، ولا يقدر الولد أن يلزم أباه، أو أن يعتبره مقصراً في حقه، فهذا من حق الأب، وليس من حق الولد أن ينزعج ويحمل الأب المسؤولية، لأن القرار مُكلف ولا يستطيع الابن تحمل أعبائه، ومع رفض الأب يمكنه العدول بما يتناسب مع قدرته. لكن لو افترضنا أن الولد اختار تخصصاً لا يكلف شيئا أو يكلف تكاليف معينة يمكن للابن أن يتحملها، وقال الأب أنا لست راضياً، فهذا لا يصح لأنه خيار الولد وعلى الأب أن يترك مجالاً للولد للاختيار. أمّا إذا غيّر الولد وجهة نظره مراعاة للأب فهذا يدخل في الإحسان، لكن إذا لم يراع والده وهو مقتنع بما يفعله فلا يكون عاصياً، لأنه ليس في دائرة واجب الطاعة وحق الأب.

رابعاً: التوجيه الذي له علاقة بالإيمان والسلوك هو من حق الأب بعد بلوغ الابن من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن باب متابعة الأسرة لصلاحها. وهو عندما يمارس بعض الضغوطات المالية

والعملية وأساليب الترغيب والترهيب يقوم بدوره ومسؤوليته، عندها تكون طاعة الولد منسجمة مع السياق العام المطلوب من كل إنسان. أما لو كان الأب منحرفاً وأراد توجيه ولده في هذا الاتجاه، أو شجعه على المعصية، أو منعه من سلوك طريق طاعة الله، عندها يحق للولد أن يرفض هذا التوجيه ولا يلتزم بطاعة والده في هذا الشأن بالأسلوب اللائق المحترم لموقع الأبوة، وهذا ينطبق على الأم أيضاً ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ...﴾[1].

خامساً: الزواج، وهو بالأصل اختيار وموافقة الولد ذكراً كان أم أنثى، لكن الإسلام أعطى صلاحية للولي وهو الأب أو الجد للأب بالنسبة للبنت البكر، فاشترط موافقة الولي إضافة إلى موافقتها، على قاعدة حماية البنت وتوفير المشورة المناسبة لها. إلا إن الأب لا يستطيع استخدام هذه الصلاحية عشوائياً بحيث يرفض بلا مبرر مقنع أو يدعي عدم استئناسه بهذا الزواج أو لا يرغب بهذه العائلة مع توفر كل الشروط الشرعية المطلوبة في الزواج من الإيمان وقدرة الإنفاق، لأن الرفض في هذه الحالة خارج السياق المسؤول عنه شرعاً، فإذا كانت البنت مقتنعة مع توفر الشروط الشرعية في العريس، عندها تسقط موافقته وتكفي موافقتها، بل في حالات معينة إذا شعرت أنها قد ترتكب حراماً إذا لم تتزوج، ولم يقدِّر الوالد هذا الأمر، فمن حقها

---

(١) سورة لقمان الآية ١٥.

الزواج مع عدم موافقته خشية الوقوع في الحرام، كما تغني موافقة الجد عن موافقة الأب في كل الحالات. أما الثيِّب أي غير البكر فلا تحتاج إلى إذن والدها إذ لا حق له عليها.

وكذا لا حق للأب في قرار زواج ابنه الصبي، فموافقة الابن تكفي. لكن نعود مجدداً إلى الإحسان لتكون مراعاة موافقة الأب من هذا الباب، ولحسن استمرار الروابط الأسرية. أما مع توفر الضوابط واتخاذ كل طرف سواء أكان أباً أو صبياً أو بنتاً لموقفه استناداً إلى صلاحياته الشرعية، فعلى الجميع التسليم والقبول إذا أرادوا أن يكونوا في دائرة الطاعة لله تعالى والالتزام الشرعي.

٣ - اختلاف الرأي

عندما يطلب الابن من الأهل أن يطلبوا له بنتاً، ويقاطعهم إذا رفضوا، هل يتحمل الأب مسؤولية ذلك؟

هذا الشاب يتصرف بطريقة غير شرعية، لأن عليه أن يقنعهم، فالقرار بيدهم للذهاب أو عدمه، فإذا كانوا غير مقتنعين لأسباب تعنيهم عليه أن يتدبر أمره، أما التهديدات والالزام فلا محل ولا جواز لها. فكما نقول للأب لا تستطيع إلزام الابن بمن يريد أن يتزوج طالما أنه اختار لحياته، نقول للابن لا تستطيع إرغام أبيك لاختيارك، نعم ننصح في هذه الحالات أن تكون هناك مسايرة من كل طرف للطرف الآخر، وذلك لتقريب وجهات النظر قدر الإمكان، فالمراعاة مفيدة من

الطرفين لمقاربة الرغبة، إذا لم يوجد سبب جوهري وأساسي.

٤ - الأبوة ثابتة

سماحة الشيخ هل تتصور أن الابن يترك والده؟فلو كان المبرر ترك الوالد له عند الصغر هل يصح ذلك؟

الولد مسؤول عن والده في الإنفاق عليه عند حاجته وخاصة في الكبر، وفي رعاية شؤونه بقدر استطاعته، وربما تكون مطالب الأب أكثر من قدرة الابن فمسؤولية الابن مرتبطة بالاستطاعة ضمن الأسقف المنطقية والطبيعية والشرعية المتوفرة، لكن التخلي عن هذه المسؤولية هي عقوق للوالد.

يبقى الأب أباً في موضوع الإحسان وصلة الرحم، فإذا أساء الأب في طريقة التربية فإننا لا نعطيه مجالاً ليدمر حياتنا، ولكن هو أب له حقوق لا تسقط رغم الإساءات والإهمال وذلك ضمن الضوابط الشرعية، فلا يحق لأحد أن يسلخ صفة الأبوة لأنها صفة واقعية، ولا بدّ أن ندقق بالظروف التي سببت التقصير، وفي كل الحالات الإحسان حق علينا تأديته.

٥ - أهمية دور الأب

لعل إطاعة الأب في مجتمعاتنا الشرقية والإسلامية بالتحديد كانت السبب المباشر في ربط المجتمع الأسري عندنا، ما رأيكم؟

بطبيعة الحال عندما تكون الأسرة متماسكة وإدارتها سليمة،

معنى ذلك أنها ستعيش جو استقرار، وهذا سينعكس على وضع المجتمع. لاحظ الأسر المفككة، فالجميع فيها من الأولاد والأب والأم يعانون من مشاكل نفسية وعقد وأزمات وخلل في العلاقات، أما الأسر المنضبطة والمتلائمة مع بعضها فهي تعيش جواً نفسياً مرتاحاً، ويكون الوضع التربوي فيها مقبولاً مع سلامة الخط وسلامة التوجه.

إن الأسرة التي ترتبط برأس، ضمن الأدوار الموزعة في الإسلام تعيش جواً سليماً، وهنا ألفت بعض الآباء أن رعايتهم لأسرهم تكون في بعض الأحيان رعاية تسلطية، فلا يراعي الأب أنه مدير و مسؤول، وبراعة المدير وأهميته في حسن إدارته لا في قوة تسلطه، وليس صحيحاً أن يقول: هؤلاء يشكلون أسرتي وأنا مسؤول عنهم وأقوم بالذي يعجبني، هذا خطأ، لأن القوانين والأنظمة التي وضعها الإسلام تعطيك صلاحيات محدودة، ولا تطلق يدك لتتصرف كما تشاء من دون ضوابط، بل تحث الولد ليرفض توجيهك له في دائرة المنكر، لكن بالأسلوب المنسجم مع أخلاقية الإسلام ومع الإحسان.

٦ - الابن الأكبر يقضي عن أبيه

على حسب رأي الفقهاء الولد الكبير يقضي الصلاة والصيام عن والده المتوفى، ما سر هذه العلاقة بعد وفاة الأب؟

«يجب على الولي وهو الابن الأكبر قضاء ما فات عن والده من

الصلوات. . ولا تلحق الوالدة بالوالد وإن كان الأحوط (استحباباً). . ولا يجب على البنات، ولا على غير الولد الأكبر من الذكور. . . فإذا مات الولد الأكبر بعد والده لا يجب على من دونه في السن من أخوته، ولا يعتبر في الولي (الولد الأكبر) أن يكون بالغاً عاقلاً عند الموت (لوالده)، فيجب على الصبي إذا بلغ [1]. «فلو كان الولد الأكبر للميت بنتاً، وولده الثاني ذكراً. . . فقضاء الصلاة والصيام يجب على الابن الذي هو الولد الثاني للأب». «فإذا مات الولد الأكبر قبل الأب. . . فتكليف قضاء الصلاة والصيام متوجه للابن الأكبر الذكر من الباقين»[2].

هذا الرأي الفقهي المستند إلى الروايات يُظهر شيئاً من الوفاء في العلاقة مع الأب، فلا يعتبر رحيله من هذه الدنيا انتهاء لعمله بالكامل، بل يكلف الابن الأكبر بمعالجة بعض ثغراته وتقصيره من قضاء للصلاة والصيام، وهذا ما يخفف عنه من حسابه في يوم القيامة. ونحن لا نعلم السر الدقيق لهذا التخصيص بالابن الأكبر، ولكن بما أنه الأول بين الذكور وينال حظوة خاصة لأنه الثمرة الأولى للحياة الزوجية، إضافة إلى الاهتمام والرعاية التي ينصب عليها الاهتمام به فلا بدَّ أن يتحمل شيئاً من المسؤولية. إنها علاقة وفاء وتعزيز للصلة واعتراف بالجميل لهذا الأب.

---

(١) تحرير الوسيلة للإمام الخميني(قده) ـ ج١ ص٢٢٧ مسألة١٦.

(٢) أجوبة الاستفتاءات للإمام الخامنئي(حفظه الله) ـ ج١ص١٦٢س ٥٥٢ و٥٥٣.

٧ – احترام الابن لأبيه

ما رأيكم في حدود احترام الابن لوالده؟

احترام الابن للأب له مصاديق متعددة، فإذا دخل الأب مجلساً، فعلى الابن أن يقف احتراماً له وأن يجلسه مكانه، وإذا تحدث بحديث أنصت له ولم يقاطعه، وإذا أراد توجيه مسألة قالها باللباقة التي لا تحرج أو تجرح الأب إذا كان التدخل ضرورياً. ولا مانع إذا تحدث الابن في مسألة لا يعرف عنها الأب أو يبدي وجهة نظره فيها، فليس المطلوب من الابن أن يصمت في المجلس الذي يجلس فيه الأب.

أما أن يتعّير الابن بأبيه بسبب مهنته أو كبر سنه أو شكله أو عدم قدرته على التعبير والتحدث فهذا مرفوض، إنه أصله ولولاه لم يكن، فعلى الأقل أن يتم التصرف في مثل هذه الحالات بما لا يؤدي إلى الحرج، ولكن أيضاً بما لا يؤدي إلى التنكر للأب.

في المقابل على الأب أن يراعي خصوصيات ولده وزمان ولده، فلا يتعامل معه دائماً وكأنه صغير السن لا يفهم شيئاً في هذه الحياة، ولا يقارن له حياته بما كان يعيش في السابق، فيقول له أنا كنت أصنع كذا وأفعل كذا وأتصرف كذا، فإنّ تغير الزمان والظروف يتطلب بعض التغيير في السلوك الاجتماعي العام وبعض الأعراف والتصرفات، فنوعية اللباس تختلف من الريف إلى المدينة ومن زمان إلى آخر، وطريقة التعليم تختلف من جيل إلى جيل، وأمور أخرى تتطلب من الأب أن يراعيها وأن لا يقارنها مع ما كان يجري معه، وأن لا يعد

الاختلاف في الظروف والعادات من قلة الاحترام.

٨ - أبوة علي عليه السلام.. إطلالة سريعة

لنطل إطلالة سريعة على العلاقة بين الأب وولديه، عنيت أمير المؤمنين علي عليه السلام كأب في علاقته مع ولديه الحسن والحسين عليهما السلام؟

نحن أمام أب عظيم وأبناء عظماء، ولا يستطيع التاريخ أن ينجب أعظم من هذه النماذج الرائعة، نماذج الأئمة المعصومين، وهم في المقام الأول وفي الدرجة الأولى، وبالتطبيق العملي كل مواصفات حياتهم تذهل العقول وتثبت جدارتها، إنهم ليسوا مقدسين لمجرد الدعوة والتعبئة للقداسة، إنما هم مقدسون لأن أهليتهم وأداءهم وما تركوه من آثار وأعمال جعلتنا نشعر بقداستهم ونعيشها في كل جوارحنا وفي كل حركة من حركاتنا، إن القداسة أتت من أهلية موجودة، ومن عظمة موجودة فرضت نفسها بشكل طبيعي. اشتهر إمامنا علي عليه السلام برعاية ولديه الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام، وكان دائم النصيحة والتوجيه لهما حتى عندما كبرا، وفي وصية مؤثرة لهما عندما ضربه ابن ملجم لعنه الله قال لهما: «**قولا بالحق واعملا للأجر و كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً**»[1] ونهاهما في لحظة الموت بأن لا ينتقما من قاتله: «انظروا إذا أنا مت من ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا بالرجل. فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «**إياكم والمثلة ولو**

(١) نهج البلاغة ـ الكتاب ٤٧.

بالكلب العقور»[1]. نحن بحاجة إلى حلقات للحديث عن هذا الموضوع.

إن من توفيقات الله تعالى للإنسان أن يوفق بأب مؤمن ملتزم منفتح واع يملك الأسس السليمة، ويرسم الخطوات التي تساعد الولد على النهوض. نحن نستفيد من التجربة الأبوية لأمير المؤمنين عليه السلام لنقول للآباء، بأن احرصوا لتمهدوا لأبنائكم ليكونوا أفضل منكم، وانطلقوا من رصيدكم ليكمل الأولاد الرصيد، وليحرص كل أب على التعلم والتعرف على أساليب التربية السليمة النافعة، ليكون الولد استمرارية حقيقية لهذا المنهج الأبوي المستقيم.

٩ - الأب المقاوم

ما رأيكم بحالة الأب المقاوم؟

عندما كنا نلتقي بآباء المقاومين كنا نشعر أننا أمام قوة مميزة، لأن الأب إذا كان مقتنعاً بهذا الخط الجهادي فنوعية أدائه تكون مميزة. بعض الآباء كان يرفضون التعزية وكانوا يصرون على إحضار الحلويات، كان أحدهم يقول: أنا في فرحة لأن ولدي قام بواجبه ورفع رأسي. الحمد الله أصبح التنافس في مجتمعنا على الطاعة، والبيت الذي ليس فيه شهيد يشعر أهله بحسرة، أما البيت الذي فيه شهيد فالكل يشعر باعتزاز وسرور، وهذا حسن تربية في

---

(١) نهج البلاغة ـ الكتاب ٤٧.

الواقع، ومن بركات الإسلام العظيم، الذي جعل الشهادة طريقاً لحياة المجتمع، وهذه هي الحياة الحقيقية التي نريدها لمجتمعنا، بدل أن يكون المجتمع ميتاً يبحث عن شهواته ولذاته. هؤلاء الآباء كانت لهم المساهمة الكبيرة في دفع الشباب وإعطاء المعنويات للمسيرة، ومن يتصور أن مسيرتنا قوية بالشباب المقاوم فقط يكون مخطئاً، هؤلاء الآباء والأمهات جزء من هذه المسيرة كالشباب، ولكن طبعاً من مواقعهم، بحيث تأخذ المسيرة قوتها من الأب والأم والأخت والطفل والمجتمع المقاوم فكلُّهم يساعدون ويعطون دفعاً إلى الأمام.

١٠ - مقارنة بين حق الأم وحق الأب

بمقارنة إجمالية بين ما ذكره الإمام زين العابدين عليه السلام حول حق الأم وحق الأب، نجد اختلافاً في طريقة عرض الحق، لماذا؟

الملاحظ أن الإمام زين العابدين عليه السلام ركز في موضوع حق الأب على العلم بأنه أصل وجود هذا الإنسان، فهو السبب المباشر وإلاّ أصل الخلق من الله تعالى، لكن أجرى الله الأسباب في مسببات معينة فكان طريق خلق الإنسان أن يكون بواسطة العلاقة الزوجية، وبالتالي فالأب هو المصدر الأساس لهذا الولد. بينما في حق الأم كان يتحدث عن الخصوصية الرعائية للأم، هذه الخصوصية لا تقتصر على كونها احتضنت هذا الولد في بطنها، بل هناك سلسلة من المعاناة

والصعوبات والجسدية و التربوية والنفسية والرعائية التي عاشتها الأم سواء في مرحلة الحمل قبل الولادة أو ما بعد الولادة، وهي تختلف في تفصيلاتها عن خصوصية الأب. ومع أن الأب هو الأصل في الوجود لكن دور الأم مميز ومتواصل في العطاء. من هنا كان تركيز الرسولﷺ على بر الأم بشكل متقدم على الأب. فقد روي أنه جاء رجل إلى النبيﷺ فقال: «**يا رسول الله من أبر؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أباك**»[1].

إن التمايز الموجود له علاقة بقابلية ووظيفة كل منهما، فالأب أصل الوجود ومسؤول عن حماية الأسرة وتنشئتها والإنفاق عليها، أما الأم فعطاؤها يبرز على مستوى التعب الجسدي والنفسي المباشر والمنسجم مع تكوينها وما تنبض به من حنان لرعاية مولودها، وهي في الوقت نفسه بحاجة إلى الشعور بهذا النوع من المبادلة والمقارنة، نظراً للتدفق العاطفي الذي تعطيه وتستحقه.

١١ - كيفية الإحسان للوالدين

كيف يمكننا ترجمة الإحسان للوالدين عملياً من خلال مفردات حياتنا اليومية؟

يقول تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ

(١) الكافي للشيخ الكليني - ج٢/ ١٦٠.

﴿إِلَيْكَ﴾[1]. وإحسان الله عطاء بدون مقابل وهو إعطاء ابتدائي لا يبتغي البدلية، وعليك أن تؤسس شخصيتك وحياتك على قاعدة الإحسان بالإعطاء بلا تفكير بالبدل. كيف إذا كان الأمر يتعلق بالوالدين؟ وهما اللذان أعطياك حياتهما ومهما فعلت لن توفيهما أجرهما إلا بمقدار ما وفقك الله تعالى إليه من قدرة لديك. فالإحسان للوالدين هو القاعدة العامة التي تحكم تصرفات الأولاد ذكوراً كانوا أم إناثاً.

وهذا أمر الله واضح في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[2].

وكذا الشكر لهما: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[3].

يتبين لنا من خلال هاتين الآيتين أمور عدة:

١- ربط الإحسان للوالدين بالعبادة لله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾، على اعتبار استكمال خطوات

(١) سورة القصص الآية ٧٧.
(٢) سورة الإسراء الآيتان ٢٣-٢٤.
(٣) سورة لقمان الآية ١٤.

العبادة بهذا الإحسان، وربط الشكر للوالدين بالشكر لله تعالى ﴿أَنِ اَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾، لأنه لا يعقل أن لا يشكر المخلوق خالقه، وكذلك عليه أن يشكر لوالديه كسبب مباشر لخلقه، والمصير إلى الله تعالى في يوم القيامة للحساب على هذا التوجيه. وفي رواية عن الإمام الرضا(ع): «وأمر بالشكر له (لله) وللوالدين، فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله»[1].

٢- الاهتمام بالإحسان وخاصة عند الكبر لاحدهما أو لكليهما، لأنهما بحاجة إليه أكثر، فهما في موقع الضعف، وحساسية التعامل معهما تتطلب رقة وتذللاً ورحمة لهما.

٣- إن خطوات الإحسان العملية عديدة، قد بيّن الإمام الصادق(ع) بعضاً منها في تفسيره لقوله تعالى في سورة الإسراء، حيث سأله أحد أصحابه عن قول الله عزَّ وجل: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، ما هذا الإحسان؟ فقال(ع): «الإحسان أن تُحسن صحبتهما، وأن لا تكلفهما أن يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنين، أليس يقول الله عزَّ وجل: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

وأمّا عن قول الله عزَّ وجل: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾، قال(ع): إن أضجراك فلا تقل لهما أف، ولا تنهرهما إن ضرباك.

---

(١) الخصال للشيخ الصدوق ـ ص١٥٧.

وعن قوله تعالى: ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، قال عليه السلام: إن ضرباك فقل لهما: غفر الله لكما، فذلك منك قول كريم.

وعن قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾، قال عليه السلام: لا تملأ عينيك من النظر إليهما إلاً برحمة ورقة، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما، ولا يدك فوق أيديهما، ولا تقدم قدامهما»[1].

فالمطلوب: حُسن الصحبة، وتأدية ما يحتاجانه، وعدم التذمر، وعدم النهر، والقول الكريم، وخفض الجناح، والرحمة بهما.

٤- الدعاء لهما بالرحمة، وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً، والدعاء أثر يستمر لما بعد الموت، ففي الحديث عن الرسول محمد ﷺ: **«إذا مات المؤمن انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**[2].

كما يتجلى الإحسان عند الاختلاف العقائدي، فإذا أمر الوالدان ولدهما بالشرك بالله، وحاولا تقديم معطيات يجهلها لإبعاده عن طاعة الله، فلا يجوز له اتباعهما، بل يرفض ما يدعوانه إليه، مع التمييز بين رفض الانسياق العقائدي الخاطئ والمصاحبة لهما بالمعروف، وفي هذا يقول تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا

---

(١) الكافي للشيخ الكليني - ج٢/ ١٥٨.

(٢) بحار الأنوار - ج٢/ ٢٢.

نُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]، وهذا يؤكد أن المطلوب هو الإحسان في دائرة الحلال، ومع الاختلاف فالإحسان في إخراج الموقف واستمرارية العلاقة بالمعروف مع التمسك بالعقيدة الصحيحة واتباع من يوصل إلى الله تعالى.

هذا الإحسان هو بر بالوالدين بعد كل المعاناة والتضحية التي قدماها، إنّه لا يدخل في دائرة الاستنساب بل هو واجب في حدوده المذكورة. وفي هذا يقول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**بر الوالدين واجب وإن كانا مشركين، ولا طاعة لهما في معصية الخالق ولا لغيرهما**»[2].

وحذار من العقوق وهو مخالفة الإحسان، ومنه إغضابهما وإحزانهما في الوقت الذي يتمكن فيه من عدم إيذائهما، ففي الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وآله: «**من أحزن والديه فقد عقهما**»[3]، لأن نتيجة العقوق وخيمة، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «**إياكم وعقوق الوالدين فإن ريح الجنة توجد من مسيرة ألف عام ولا يجدها عاق....**»[4].

---

(١) سورة لقمان الآية ١٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق ـ ج١/ ١٣٢.

(٣) من لا يحضره الفقيه للصدوق ـ ج٤/ ٣٧٢.

(٤) الكافي ـ ج٢/ ٣٤٩.

الحلقة الثالثة

حـق الولد

(الجزء الأول)

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأما حق ولدك فتعلم أنه منك، ومضاف إليك، في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤول عما ولّيته من حسن الأدب، والدلالة على ربه، والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب. فاعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا، المعذّر إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه، والآخذ له منه، ولا قوة إلا بالله».

* * * * * *

١ – حقوق الإبن على أبيه

ما هي حقوق الابن على أبيه منذ الولادة؟

الأمر الأول ـ حسن اختيار الأم: وردت عندنا روايات كثيرة تتحدث عن توجيهات للأب تمهد لابنه المستقبلي ذكراً كان أو أنثى، حتى قبل مجيء هذا الولد أي قبل الزواج الذي يعتبر مقدمة مباشرة

لولادة الولد، فطلب من الرجل أن يحسن اختيار المرأة لأن اختيارها يلعب دوراً كبيراً في مسألتين: الأولى؛ هي الفطرة وهي المواصفات الذاتية التي أودعها الله تعالى في كل مخلوق، والتي تتمايز من فرد لآخر، ويكتسب الولد من أبويه هذه المكونات الفطرية. الثانية؛ هي التربية التي تساهم فيها الأم بشكل كبير، ويؤثر محيطها التربوي وما نشأت عليه في إضفاء شخصيتها على ولدها.

ففي المسألة الفطرية التكوينية، بعض الأولاد يتميزون في خلقتهم بذكاء حاد، والبعض الآخر تكون قدرتهم الذهنية بسيطة وضعيفة، وقد تكون البنية الجسدية سليمة أو ضعيفة، وعلى مستوى الشكل يوجد جمال أو قبح، فالأمر له علاقة بالشخصين الرجل و المرأة، ولذا طلب من الرجل أن يحسن اختيار المرأة التي ظهرت فيها صفات تهيئ لخصائص إيجابية في شخصية المولود، ففي الحديث الشريف: «**اختاروا لنطفكم فإن الخال أحد الضجيعين**»[1]. وأما في التربية فعليه أن يأخذ بعين الاعتبار أن لا يكون الاختيار مركّزاً على النواحي الظاهرية والجمالية فقط، إنما يجب التركيز على المضمون الديني والأخلاقي، وقد ورد في الحديث الشريف: «**إياكم وخضراء الدمّن، قيل: وما خضراء الدّمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء**»[2]، ذلك أن الولد إذا كانت أمه في منبت سوء أو كانت

(١) الكافي للشيخ الكليني ـ ج٥/ ٣٣٢.

(٢) بحار الأنوار ـ ج١٠٠ ص ٢٣٤.

شخصيتها سيئة، فمهما عمل هذا الوالد لن يستطيع السيطرة على الوضع التربوي بالشكل المناسب، لأن الجو موبوء.

الأمر الثاني ـ اختيار التسمية: إن الوقوف عند التسمية له أثر كبير، ويستحب عندما يولد المولود أن يعطى اسم محمدﷺ في بداية أيام الولادة، تبركاً باسم الرسولﷺ قبل أن تطلق عليه التسمية الأخرى إذا كانت مختلفة، فعن أبي عبد الله‌عليه‌السلام: «**لا يولد لنا ولد إلاّ سميناه محمداً فإذا مضى سبعة أيام فإن شئنا غيرنا وإن شئنا تركنا**»[1]، ثم يختار له الاسم الذي يستفيد منه و يتأثر به. وقد ورد في الرواية عن النبيﷺ: «**يا علي: حق الولد على والده أن يحسن اسمه وأدبه ويضعه موضعاً صالحاً**»[2]،أي أن يختار الاسم الحسن كأن يسمي ابنه باقر نسبة إلى الإمام الباقر‌عليه‌السلام أو يسميه مهدي نسبة إلى الإمام المهدي(عج) أو اسم يرمز إلى الشجاعة أو إلى الأخلاق أو أي اسم من الأسماء التي لها دلالات إسلامية في التاريخ أو لها دلالات لشخصيات مرموقة أو لها معاني جميلة، فعندما يحمل الولد هذا الاسم يكون مؤثرا عليه بشكل أو بآخر، بدل أن يتندر زملاؤه أو الناس به.

ولن أذكر أمثلة حتى لا أجرح بعض المشاعر، لكن بعض الأسماء تُشعر بأن الولد عندما يحملها وكأنه ولد خنوع لا شخصية له،

---

(١) الكافي للشيخ الكليني ـ ج٦/ ١٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ـ ج٤/ ٣٧٢.

وكذلك الشاب الذي يحمل اسماً يدل على الأنوثة، أو الأنثى التي تحمل اسماً يدل على الرجولة، فهذه أمور تعطي إنطباعاً سيئاً للوهلة الأولى، والانطباع الأول مؤثر عادة. فإذا أردت أن تتعرف على شخص وسألته عن اسمه، فإذا كان اسمه عادياً ومألوفاً تسير الأمور بشكل طبيعي، أما إذا كان الاسم غير مألوف فتسأله مباشرة: لماذا سماك أبوك هذا الاسم؟أو تكون مندهشاً منه. هذه الإطلالة تُلاحظ في المدرسة مع المعلمة أو الأستاذ، وذلك عندما يقول التلميذ اسمه، حيث تمر بعض الأسماء بشكل طبيعي،لكنَّ البعض الآخر لا يمر بشكل طبيعي إنما يتم التوقف عنده، فحسن الاسم مؤثر في الانطباع الأول وعلى الأب والأم أن يحسنا الاختيار.

الأمر الثالث ـ أن ينفق عليه: لأنه هو المسؤول عن الإنفاق، وذلك بأن يؤمن له المسكن والطعام والملبس والطبابة والتعليم والحاجات التي يتطلبها هذا الولد، فهو محتاج الى الرعاية على مستوى الإنفاق المادي.

الأمر الرابع ـ التربية والرعاية الدائمة في توجيه هذا الولد: ففي نهج البلاغة: «**حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه و يحسن أدبه ويعلمه القرآن**»[1] يعمل على تعليمه القرآن وتأديبه وتوجيهه بطريقة تستقيم فيه الشخصية. للأسف فإننا نلاحظ في أغلب العائلات أن الأب غالباً ما يتخلى عن مسؤوليته التربوية، حيث يركز على جانب

(١) نهج البلاغة ـ الحكمة ٣٩٩.

الإنفاق وتأمين الحاجات المادية، وينحصر دوره التربوي في توجيهات نادرة، وتبرز صورته كفزاعة في البيت وليس كمربٍّ، حيث يُظهر الشدة مع أولاده ويكون عابساً في وجوههم، ويسأل الأم عند عودته إلى المنزل، هل هناك ما يزعجك حتى أقوم بوضع حد له؟ فالحل عنده بالصراخ والضرب وينتهي الموضوع عند هذا الحد، لكنها ليست طريقة تربوية سليمة، فهذا الأسلوب خاطئ.

٢ - مسؤولية عمل الابن

نلاحظ أن الإمام السجادﷺ استعمل أسلوبا لافتاً للنظر،حيث يشبه كون الولد جزءاً لا يتجزأ من أبيه، وكأنه قطعة انقسمت منه فقال: «إنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره» ماذا أراد الإمام أن يقول لنا؟

بطبيعة الحال الإبن هو قطعة من الأب وقطعة من الأم، إنه جزء عضوي وليس إنسانا خارجاً عن دائرة التكوين المباشر، وهذه العلاقة يجب أن تترجم في العملية التربوية، فمن يكلف بالتربية لولد من الأولاد قد يصل إلى مرحلة يشعر معها بصعوبة الاستمرار، أو عدم الرغبة فيها، أو لا تعنيه متابعة هذه التربية، فالولد غريب عنه ولن يضيف له شيئاً. أما مع الإبن فالحرص على العلاقة العضوية والرحمية تساعد في أن يبذل الجهد بطريقة استثنائية، ويتحمل دونها الصعوبات، وهذا ينسجم مع فطرة الإنسان، وعليك أن تتذكر دائماً ما

قاله الإمام زين العابدين عليه السلام: «فأن تعلم أنه منك» إنه جزء لا يتجزأ منك، فكما تتضرر يدك وتتألم فيهتز البدن ويتداعى الجسم بأكمله ليعيش حالة الوجع، فإنَّ الولد جزء منك ينعكس عليك ما يحصل له إذا فرح أو تألم أو أساء أو أحسن.

فهو «مضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وبشره» أي بأعماله. إنه جزء منك في الخلق ولكنه مضاف إليك بخيره وشره في هذه الدنيا بأعماله التي ستكون ملتصقة بك، وسيحملك الناس مسؤوليتها ابتداء، فإن كان صالحاً ينسبون الصلاح إليك، وإن كان فاسداً ينسبون الفساد إليك، على قاعدة إضافة هذا الولد لك، لا على قاعدة أنك أنت الذي قمت بالصلاح أو أنت الذي قمت بالفساد. إذاً هذه الإضافة هي عبارة عن إضافة خارجية وليست جزئية داخلية، حتى لا نقول في النهاية بأنَّ كل ما يتصرفه الولد هو مسؤولية الأب مباشرة، لأنه في بعض الحالات لا يتحمل الأب أي مسؤولية، ففي الحسابات الدقيقة قد يكون الأب مسؤولاً أحياناً، وقد لا يكون مسؤولاً أحياناً أخرى.

وهذه تجربة النبي نوح عليه السلام، الذي دعا قومه إلى الله تعالى تسعمئة وخمسين سنة، ولم يقدر أن يجذب ولده نحو الإيمان. إن النبي نوح عليه السلام بذل كل جهده ولا يوجد أفضل من أدائه كنبي معصوم، لكن ظهر فساد الولد في النهاية، فالأجواء المحيطة كانت أقوى بكثير من كل محاولاته مع ولده، إذاً ماذا يفعل؟ قال تعالى للنبي نوح عليه السلام:

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾[1]، أنت لا تتحمل مسؤوليته بسبب فساده، فالإضافة السيئة لا تجعله جزءاً منك فقد انقطع عنك بعمله. هذه النتيجة مثلت القرار النهائي بعد الجهود الكبرى التي بذلها لإعادته إلى الإيمان. فلا تستهن بالعملية التربوية في العلاقة مع الولد، لأنه مضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وعليك متابعة خطواته لأنك مسؤول.

٣ - أولادكم فتنة

تتحدث الآية الكريمة إن الأولاد فتنة. هل يمتنع الشخص عن الزواج؟

هذا السؤال لطيف، لأني لاحظت عدة أشخاص يسألون في بعض المحاضرات مستهجنين: كيف يشجع الإسلام على الزواج وإنجاب الأولاد، ثم تأتي الآية القرآنية لتقول: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[2]؟ يجب أن نفهم معنى الآية الكريمة ليزول الالتباس. الفتنة تعني الاختبار والامتحان، وأنت أيها الإنسان مختبر وممتحن بولدك أي مفتون به، فقد تنجح في الاختبار وقد تفشل فيه، فلا تعتبر أن دورك توقف عند ولادة الولد بالربح وأنّه لم يعد عليك أي مسؤولية سوى الإنفاق عليه وتأمين

---

(١) سورة هود الآية ٤٦.

(٢) سورة الأنفال الآية ٢٨.

احتياجاته. إنتبه، فأمامك سلسلة تربوية واسعة، ومشوار طويل يمتد لكل لحظات حياته، وأنت مسؤول عنها ويجب أن تتابعها مع ابنك حتى تستطيع النجاح في الامتحان. يجب عليك أن لا تراعيه في كل ما يريد ولا تساعده على المنكرات، بل تشجعه على الطاعة والإقبال على العمل الصالح، فهذه كلها اختبارات بالنسبة لك والعبرة تبرز عند النتيجة.

«واعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنة» فهم اختبار بالنسبة إليكم، اختبار في تصرف الآباء والأمهات. هذا ينجح في الاختبار إذا أحسن تربية ولده، وآخر يرسب في الاختبار إذا لم يحسن الأداء مع ولده، بصرف النظر عن نتيجة تربية هذا الولد، لأنه يمكن أن ينتج ولد فاسد من أب صالح قام بما عليه. ويمكن أن يكون الأب قد أساء كثيراً في تربية ولده، ولكن الله أنقذ هذا الولد وأصبح إنساناً صالحاً، فيعاقب الله الأب على سوء التربية، ويكافىء الولد على توفيقه في يوم القيامة. لا يمكن ربط المقدمات دائماً بالنتائج المباشرة، وإن كانت القاعدة تفترض أن التربية الصالحة تؤدي إلى نتيجة صالحة مباشرة، والتربية الفاسدة تؤدي إلى نتيجة فاسدة. إن العملية التربوية لا ترتبط بالأب فقط أو بالأم فقط، فالمربون غير الأب والأم كثر، كالمدرسة والتلفاز والشارع والمجتمع والعائلة الخ... كلهم يعملون في العملية التربوية، وغالباً ما يفقد الأهل السيطرة لأن ضغوطات التربية الأخرى تكون أقوى منهم بكثير. من هنا توجهنا إلى الأب وإلى الأم، لأننا نريد أن نعينهم ونتفاهم معهم

على أن يتقنوا ما أمر به الإسلام، ليقوموا بوظيفتهم، والتوفيق على الله تعالى.

٤ - من يرعى ومن يربي؟

سماحة الشيخ هل توافق الرأي أن الأستاذ الأول من بين جميع من يحيطون بالولد هو الأب الذي يلعب دوراً في التوجه؟

أنا أحب أن أستعمل عبارة الراعي الأساسي في المنزل، لأن المربي المباشر والمؤثر بداية هو الأم، فالأب يرسم الخط العام للتربية لأنه هو القوّام على الأسرة والمسؤول عن التوجيه العام، أما الأم فهي التي تواكب كل خصوصيات الولد منذ الطفولة وتؤدي دوراً هاماً في تربيته وصقل شخصيته.

٥ - منشأ عقد الطفولة

سماحة الشيخ يخرج الواحد منا من بيت أهله مشحوناً بالعُقد من سوء العلاقة بينه وبين والديه، إلى من تُرجع سماحتكم سبب هذه العلل التي تدمر الكثير من قيمنا؟

أولاً: أريد أن أعتذر من الآباء والأمهات الذين يخطئون في طريقة أدائهم وتربيتهم، أن لا يشعروا بأن الحديث موجه إليهم للإساءة إليهم في علاقتهم مع أسرهم، لأن المطلوب أن نعرف الحقيقة، وأن نميز الصواب من الخطأ ونعمل على التصحيح، وعلى الإنسان أن

يكون جريئاً فيغير من أسلوبه وطريقته في التعاطي عندما يكتشف خطأه وذلك لمصلحة أولاده.

ثانياً: إن المشكلة الأساسية في العملية التربوية هي العملية التربوية نفسها. هؤلاء الآباء الذين نتحدث عنهم لو بحثنا عن كيفية بناء شخصياتهم قبل أن يصبحوا آباء، لوجدنا أنهم لم يتوفقوا لتوجيه وتربية وتعليم يساعدهم على معرفة الضوابط الصحيحة وطريقة التربية السليمة ليتمكنوا من أداء معقول وسليم. الولد يتربى فترة من الزمن عند أهله وفي مجتمعه، ثم يبدأ بمرحلة جديدة عند الزواج. سؤالي هنا: هل يأخذ هذا الزوج توجيهات خاصة حتى يعرف كيف يتعامل مع الواقع الجديد؟ هل يا ترى شكَّل هذا الولد انطباعاً بأن طريقة والده كانت طريقة صحيحة حتى يتصرف على أساسها؟ هل أنَّ ما تعلّمه وما اختبره كان صحيحاً وسليماً؟ إنه بعد الزواج يفتش ويكتسب خبرات ذاتية، وهو يختار الأسلوب التربوي بطريقة إنتقائية. وعندما يجتهد كل واحد من أفراد المجتمع بأسلوب تربوي مستفاد من تربيته ومن خبرته التي تكونت، فستكون ناقصة وفيها خلل ومشاكل كثيرة. إنَّ الحل في هذا الموضوع يكمن في أمرين:

الأمر الأول: أن يتعرف الواحد منا على أحكام الإسلام في حقوق الولد وحقوق الوالدين وواجبات كل منهم، حتى يعرف ما له وما عليه، وبهذا يشكل ثقافة سليمة، ويتعرف على الضوابط القانونية الشرعية التي تساعده في التربية.

الأمر الثاني: أن يجاهد نفسه ويربيها على طاعة الله، ليعيش في أجواء يقتنع ويقبل معها أن يطبق ما تعلمه، ولو لم يكن منسجماً مع رغباته الخاصة وأهوائه.

أعتقد أن المشكلة الموجودة عندنا هي هكذا، وحقيقة أنا أشفق لحال الكثير من الآباء والأمهات بسبب طرقهم السلبية التي يتصرفون بها، لأنك لو بحثت في ماضيهم فستجد أنهم متأثرون بالأساليب التربوية الخاطئة للأهل، ويقول الواحد منهم «إذا كنت الآن أضرب كفاً فأبي كان يضربني عشرة» فهو يعتبر أنه استفاد من تجربته وحسّنها وطّور فيها الكثير. وتقول لك: «إذا رأيتني أصرخ وأشتمك ولا أراعي أحياناً أساليب التربية الصحيحة، فأمي كانت مشهورة بالقسوة والضرب وعدم احترام الولد إلى أقصى الحدود». هذه مشكلة واقعية نعيشها ولا تحل إلا بالاستناد إلى النصيحتين التي ذكرتهما، وفي التعرف على أحكام الإسلام، وفي المواكبة التطبيقية بعيداً عن الأهواء.

٦ - ضوابط التربية السليمة

لنعد إلى قول الإمام زين العابدين‏عليه السلام: «**وإنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه، والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب**»، كيف يكون مثاباً ومعاقباً؟

حدّد سيد الساجدين‏عليه السلام المسؤولية بثلاثة أمور أساسية:

١ - حسن الأدب، فما يتأسس عليه الولد منذ الصغر، ينطبع

في شخصيته ويتحول إلى سلوك عادي، وعادة ينمو حسن الأدب أو سوؤه مع الطفولة. هذا السلوك الاجتماعي يصعب تغييره مع الكبر، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى أهمية التأديب منذ الصغر في قوله لولده الإمام الحسن عليه السلام: **«وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك»**[1].

٢- الدلالة على ربه، ليعرف خالقه وصفاته وعلاقته به وأنه سيحاسبه في يوم القيامة. فمن عرف ربه عرف الكثير من الأسرار التي تحيط به، وهذا يؤدي أيضاً إلى معرفة مسؤوليته وتكاليفه الشرعية، ويتأكد الارتباط به وحده لا شريك له. إنها دلالة على الاتجاه الوحيد الصحيح.

٣- المعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فالولد بحاجة إلى العون والتوجيه الدائمين خاصة فيما يذكره الإمام لمساعدته على طاعتك أيها الأب، فهذا يسهل عليك العمل، ولمساعدته على نفسه حتى يكون في طاعة الله، فهذا خير له في الدنيا والآخرة.

وبما أنك مسؤول أيها الأب، فأنت مثاب إذا أحسنت أداء هذه الأمور الثلاثة، ومعاقب إذا أسأت في أدائها. وفي الأمور الثلاثة ما يؤكد على المواكبة الدائمة والتربية المستمرة، لأن المسألة لا تنجز

---

(١) نهج البلاغة ـ من وصية له للإمام الحسن عليه السلام ـ كتاب ٣١.

بكلمة أو نصيحة أو محطة بل تحتاج إلى متابعة.

يتابع الإمام قائلاً: «**فاعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا**»، فعملك مع ولدك كمن يزين نفسه بالأثر الصالح لهذا الولد في الدنيا «**المعذر إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه، والآخذ له منه**» فتكون معذوراً عند الله تعالى إنك أحسنت القيام بما عليك بالنسبة لولدك بينك وبين الله، وأخذت منه لله ما يصلح شأنه، وفي كل الأحوال تكون الاستعانة بالله تعالى، فعليك العمل وعليه التوفيق.

٧ - مراعاة الولد أمام الآخرين

كم من الآباء يضربون أبناءهم أمام الناس ظناً منهم أنهم يصقلون شخصيتهم، ما تعليقكم على هذا الأسلوب؟

في الحديث الشريف عنوان عام «**من وعظ أخاه سراً فقد زانه ومن وعظه علانيةً فقد شانه**»[1]. من نصح أخاه سراً احترمه وطمأنه وأراحه، ومن نصحه جهراً فقد شانه وعابه ووضعه في موقف حرج. هذه القاعدة تنطبق أيضاً على الآباء والأولاد، فعلى الأهل أن يراعوا مشاعر أبنائهم، وحتى الولد الصغير الذي له من العمر ثلاث أو أربع سنوات، وتظن أن الضرب أمام الناس لا يؤثر عليه، سيقول لك عندما

(١) تحف العقول لابن شعبة الحراني - ص ٤٨٩.

يكبر هل تتذكر وأنا ابن أربع سنوات، عندما ضربتني أمام عشرين أو ثلاثين شخصاً! فتكون هذه الحادثة قد أثرت في نفسه بطريقة سلبية، كما يمكن للبعض أن يتجاوزها. علينا أن نلتفت بأن إهانة الولد أمام الآخرين سيئة على المستوى التربوي، نعم بعض الأولاد يزيدون من إحراج آبائهم بطريقة غير عادية، فالمطلوب من الأب أن يكون واعياً ويتوازن بحيث يحسن التصرف عند الحرج الشديد من قبل الولد، وذلك بأقل الإحراج الممكن للولد، والأفضل دائماً أن يلجأ الى الأسلوب التوجيهي والرعاية المباشرة، وذلك بالترغيب والترهيب مع التحفظ على التصرف أمام الملأ.

٨ - أسلوب الضرب

إلى أي حد يجوز للأب أن يضرب ابنه؟ وهل يعتبر هذا التصرف شرعياً؟

حدود الضرب مجهولة عند الكثيرين من الناس، وهي حدود شرعية تشمل الولد وغيره، فإذا تم تجاوزها ترتب إثم ودِيَّة على الفاعل، وهذا يؤكد أن الضرب ليس أصلاً في عملية التربية، بل يتم اللجوء إليه وبشروط مشددة، فلو تم الضرب على الوجه **«واسود الوجه من غير جرح أو كسر فالدية ستة دنانير**[١]**، وإن اخضر ولم يسود ثلاثة دنانير، وإن احمر دينار ونصف، وفي البدن الدية نصف ما**

---

(١) الدينار = نصف ليرة ذهبية عثمانية.

كانت في الوجه»[1] «ولا فرق بين الرجل والأنثى والصغير والكبير. . . ولا في بقاء الأثر وعدمه»[2].

أيها الأب أنت قوَّام على هذه الأسرة وأنت ولي هذا الولد، تربيه وتشرف على شؤونه، ولكنك لست مطلق الصلاحيات بل لك حدود وضوابط. من الذي يحمي هذا الولد؟ القانون الإلهي هو الذي يحميه. إذا قلنا إن الوالد حر مع ولده لأنه جزء منه، فهذا يعني أن الضوابط الشرعية لا عمل لها، عندها يضربه أو يؤذيه أو يقتله على قاعدة أنه ابنه وهو حر فيه. لكن مع الحقوق والواجبات الشرعية، يحق له أن يؤدبه ويوجهه ويعاقبه بالضرب، عندما يجد أنه شكل من أشكال العقوبة المطلوبة، دون أن يكون هناك اسوداد أو اخضرار أو احمرار، ومع التجاوز يستوجب الكفارة أو الدية، وأمور أخرى تستوجب الاستغفار. لذا علينا أن ننتبه، ففي عالم التربية ليس مسموحاً أن نجرح مشاعر الولد دون مبالاة، أو نحطم معنوياته دون اكتراث، فالولد إنسان له حقوق كما عليه واجبات، نحن مسؤولون أمام الله تعالى لنقوم بواجباتنا ولا نتجاوز حقوقنا.

إن الضوابط التي وضعها الإسلام لتربية الولد ليست للتقييد وإنما للتوجيه، حتى يحسن الوالدان التربية وفق نموذج تربوي

---

(١) تحرير الوسيلة للإمام الخميني(قده) ـ ج٢ ص ٥٩٥ مسألة ٤.وتكملة منهاج الصالحين للإمام الخوئي(قده) ـ ص ١٣١ مسألة ٣٧٦.

(٢) تحرير الوسيلة للإمام الخميني(قده) ـ ج٢ ص ٥٩٥ مسألة ٤.

مناسب وفعال. إن الأمور تختلط وبشكل كبير عند الآباء والمربين، فإذا سألنا الأب لماذا ضربت الولد ضرباً لا يتحمله؟ لماذا تشفّيت منه أثناء ضربه؟ يقول لك: عصّبت وفقدت السيطرة لأني صدمت من تكرار فعله، وما فعلته اليوم هو نتيجة تراكمات وليس لأجل هذه الحادثة ! أولاً: ليس سليماً أن تجمع أفعال ولدك لتعاقبه عليها دفعة واحدة، فمع التجزئة والمتابعة تكون الأمور أسهل. ثانياً: عندما تفقد السيطرة على أعصابك فلا مبرر لديك لعدم الالتزام بالضوابط، فإنك مسؤول عما تفعل، وعليك معالجة تصرفاتك وقت الشدة، إنَّ المثل الشائع يقول «عد للعشرة قبل أن تقدم على العمل» فلا تباشر إلى التصرف بمجرد سماعك للشكوى أو الخطأ بل اصبر قليلاً، هذا المثل مستفاد مما ورد في الإسلام عن رسول الله ﷺ: «**لا تغضب، فإذا غضبت فاقعد وتفكر في قدرة الرب على العباد وحلمه عنهم**»[1]، وهناك توجيهات تفصيلية عن الرسول ﷺ: «**فأيما رجل غضب وهو قائم فليجلس فإنه سيذهب عنه رجز الشيطان، وإن كان جالساً فليقم، وأيما رجل غضب على ذي رحمه فليقم إليه، وليدن منه وليمسه، فإن الرحم إذا مست الرحم سكنت**»[2]، لأنك عندما تجلس تتغير حركتك، وهذا الجلوس يهدئ من الغضب، أو إذا كنت واقفاً فامش قليلاً، فهذا المشي يعطيك فرصة للتأمل قبل أن تأخذ القرار،

---

(١) تحف العقول ص ١٤.

(٢) أمالي الصدوق ص ٤٢٠.

وإذا مسست رحمك أي عانقته أو أحطته فإن الحالة العاطفية ستسيطر، وعندها يهدأ روعك وغضبك.

المطلوب أن نستخدم كل الأساليب التربوية وأن لا نركّز على أسلوب الضرب، إذ يمكن حرمان الولد من شيء يحبه، أو إبراز الغضب أمامه، أو عدم التجاوب مع رغباته، كما توجد أساليب كثيرة فعّالة ونافعة في هذا الإطار.

٩ - أعن ولدك على برّك

الوالدان يتحملان مسؤولية عقوق ولدهما، ما تعليق سماحتكم؟

ورد في الروايات ما ينبه الوالدين إلى مسؤوليتهما، فإذا عقَّ الولد والديه نسأل عن الأسباب، حيث تكون أحياناً بسبب الولد فالوالدان غير مسؤولين، وأحياناً أخرى يكون العقوق بسبب طريقة التعاطي مع الولد، فالوالدان يتحملان جزءاً من المسؤولية. وقد ورد في الحديث الشريف عن الرسول ﷺ: **«رحم الله من أعان ولده على بره، وهو أن يعفو عن سيئه ويدعو له فيما بينه وبين الله»**[(١)]. فالمسألة مرتبطة بالأسلوب التربوي المساعد على الاستقامة أو المنفّر الذي يؤدي إلى فقدان السيطرة والتوجيه للولد، ما يؤدي إلى العقوق.

---

(١) بحار الأنوار - ج١٠١ ص ٩٨.

١٠ - نمّو شخصيتهم

ما رأيكم بملاحقة الولد صغيراً وكبيراً على كل سلوك تحت عنوان حق الوالدين؟ وإذا أصر الولد على التدخين وهما لا يريدان ذلك، ما العمل؟

عندنا مفهوم خاطئ موجود عند الآباء والأمهات، يبرز عند الآباء مع الصبيان، وعند الأمهات مع البنات، على قاعدة المثل الشائع الذي يقول «الولد ولد ولو حكم بلد». على الأهل أن يتركوا فرصة لأولادهم لتنمو قدراتهم ويعززوا استقلاليتهم كي يحسنوا إدارة حياتهم، ولا ضرورة للتدخل في شؤون الأولاد بشكل تفصيلي، فالأعمال التي ليس فيها محرم أو خطر كبير للوقوف عنده لدفع هذا الخطر، لا تتطلب تضييقاً وتأزيماً للموقف، وليس مطلوباً أن يكون الولد نسخة طبق الأصل عن والديه في كل تصرفاته، فالإمام علي عليه السلام ينصحنا بقوله: **«لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»**[١]، المقصود هنا بالآداب العادات. أنت تستيقظ عادة في السابعة صباحاً وتشرب القهوة أو الشاي، ولكن ابنك يريد أن يستيقظ الساعة السابعة والنصف، لعدم الحاجة إلى الاستيقاظ في هذا الوقت، فلا حاجة لإحداث مشكلة. أنت مزارع ومن عادتك أن تنزل الى الحقل الساعة الخامسة، وابنك موظف يذهب الساعة الثامنة الى عمله، لكل واحد منكما نمط مختلف عن الآخر، فلا حاجة للإصرار

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد - ج٢٠/ ٢٦٧.

على الأداء نفسه ! الأم لها مشاريعها ونشاطاتها فلا داعي لإلزام البنت حتى بعد أن تتزوج بمشاريع الأم نفسها. . . .

أما في موضوع التدخين أو ما يراه الوالد مذموماً، ويتعلق به الإبن وتساعد الفتاوى الشرعية على القيام به، فالمطلوب هو التوجيه والنصيحة وبذل الوسع في إعانته على ما لا تراه مناسباً منه للإقلاع عن التدخين، إلا أن المنع لا يرقى إلى درجة المقاطعة والتأزيم. المطلوب من الآباء أن يتحلوا بمرونة أكثر ليُشعروا أبناءهم ببعض الحرية والاحترام وهم يربحون بذلك، كما أن المطلوب من الأبناء مراعاة الآباء ضمن قواعد الإحسان إليهم.

١١ – تقاليد المجتمع الشرقي

الآباء يسلبون حقوق أبنائهم، لأنهم يعتبرون أن هذا الحق ملك لهم من خلال تقاليد المجتمع الشرقي، ما هو تعليقكم على هذه المسألة؟

يوجد فرق بين تعاليم الإسلام في مسألة الحقوق وبين المسائل القائمة فيما يسمى بالمجتمع الشرقي. صحيح أن أغلبية المجتمع الشرقي من المسلمين، لكن هذا لا يعني أن أفكارهم المخالفة للضوابط الإسلامية هي تصرفات إسلامية، لذا فإنَّ تصرفات الآباء مع الأبناء هذه، هي تصرفات المجتمع الشرقي وليست تصرفات الإسلام. إن الأداء الموجود عند الآباء تجاه أبنائهم من السلطة القهرية

تحت عنوان الرجولة في المجتمع الشرقي، سواء في المظهر أو طريقة التصرف أو ضبط الأسرة الحديدي أو القسوة والعنف على الأولاد أو على المرأة، لا يتحمل الإسلام مسؤوليته. إستخدم الإسلام عبارة القوَّامية، وهي أن يقوم بالأمر وأن يكون مسؤولاً، فالمسؤولية شيء والتسلط شيء آخر. المسؤولية لها ضوابط والتسلط ليس له ضوابط. ثم ما الذي يمنع الأب من أن يكون ممسكاً بأسرته وبتوجيهاتها ولكن بحنان وعطف وحب واحترام، لتعيش الأسرة مناخ الراحة والطمأنينة والحرية في المساحات التي تركها الإسلام؟ ولماذا يتم التركيز على صورة الأب العبوس والضارب والصارخ؟ الأب في الإسلام هو الراعي والحنون والمؤدِّب والمعلم والموجه والحامي والمنفق، وكلها عناوين عملية ومربية. نحن بحاجة إلى توسيع ثقافتنا الإسلامية للتعرف على الضوابط الإسلامية لنميزها عن أخطاء المجتمع الشرقي، وعن عقلية الرجل في المجتمع الشرقي، والتي لا علاقة لها بالعقلية التي يريدها الإسلام.

إن بعض الآباء لم يسمعوا ببعض الروايات التي تصور شخصية الأب بطريقة محببة للغاية، قال الرسولﷺ: **«من كان عنده صبي فليتصاب له»**[1] فليتصرف معه بما ينسجم مع سنه الطفولي. وروي أن رسول اللهﷺ كان في أحد المجالس فدخل رجل إلى المجلس وشرح طريقته في التعاطي مع أولاده، قال: أنا ما قبَّلت ولداً قط وهو

(١) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق ص ٤٨٣.

مفتخر بذلك، ثم غادر المجلس فقال رسول الله ﷺ: **«هذا رجل عندي إنه من أهل النار»**[1] لأنه يملك قسوة غريبة، فابنه يحتاج إلى الحنان والعطف بحيث يكون التقبيل تعبيراً عن ذلك. كيف يقطع الأب الرحمة والحب والحنان من قلبه؟! في الحديث الشريف أيضاً يقول: **«أحبوا الصبيان وارحموهم»**[2].

وقد وردت روايات تشجع على التعبير عن الحب للولد، قل له بأنك تحبه، وهو يعرف أنك تحبه، ولكن عندما تقول له بأنك تحبه، تربطه بك وتربيه وتؤدبه. لاحظ إبنك الصغير في البيت، إنه يسألك: هل تحبني؟ ماذا تقول له! أغرب عن وجهي: فالآن ليس وقتك ! هذا جزء من التربية، إنه يسألك مراراً في اليوم الواحد، وعليك أن تجيبه بأنك تحبه، وهو بحاجة إلى هذا العطف، فلا تصدّه حتى لا يتجنبك ويخاف منك ويعتبرك فزاعة. أشعروا أولادكم بالحب والحنان والعطف، أعبسوا في وجوههم عند الحاجة كتعبير عن أن الحب الذي رأوه منكم، قد يفقدوه إذا لم يتأدبوا، هذا جزء من عملية التأديب. وما ذكرناه ينطبق على الأم أيضاً.

١٢ - التمييز بين الفتاة والصبي

سماحة الشيخ هل تعتقد أنه يجب أن نميز بين الفتاة والصبي؟

---

(١) الكافي - ج٦ ص٥٠.

(٢) الكافي - ج٦ ص ٤٩.

الإسلام رفض عملية التمييز، والآية القرآنية استنكرت ما كان يفعله الناس في الجاهلية من التعبير عن الانزعاج، والابتعاد عن طريق الناس عندما تولد الأنثى بالقول: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[١] هذا حكم سيئ وخاطئ، في الوقت الذي يجب التعاطي معها ـ كمولود جديد ـ بالبشرى والاستبشار. إنَّ الإسلام رفض هذا التمييز رفضاً قاطعاً، حيث قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القبل**»[٢]. وعن الرضا عليه السلام عند سؤاله عن التمييز في الحب بين البنات والبنين قال: «**البنات والبنون في ذلك سواء، إنما هو بقدر ما ينزلهم الله عز وجل منه**»[٣]. وأعطى العنوان العام الذي يتساوى فيه الجميع أثناء التقييم والمحاسبة، وكنتيجة للوجود في هذه الحياة، وهو العمل وليس الجنس: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[٤]. إن قيمة العمل بصلاحه سواء صدر عن صبي أو صدر عن بنت، ولا نقول بأن عمل الصبي أحسن من عمل البنت أو العكس، فالمكانة بالأداء. من هنا فإنَّ تعامل الأب مع أبنائه يجب أن يكون تعامل الذي يساوي بينهم ويراعي متطلباتهم.

---

(١) سورة النحل الآيتان ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) كنز العمال ٤٥٣٥٠.

(٣) الكافي ـ ج٦/ ٥١.

(٤) سورة النحل الآية ٩٧.

إن الفرق الموجود في التكوين وبعض التكاليف هو لخير المجتمع، وقد عبّر الإمام الصادقعليه السلام عن نتيجة هذا الفرق بقوله: **«البنون نعيم والبنات حسنات، والله يسأل عن النعيم ويثيب على الحسنات»**[(١)]. ومن يدقق في الفهم الإسلامي يرى أن النعمة هي عطاء إلهي يتحمل الإنسان مسؤوليته ويحاسب على ما صنعه في هذه النعمة، لكن البنات حسنات والحسنة مكافأة وعطاء وهي نتيجة لعمل.

هذا التعبير ورد في روايات عدة عن النبيصلى الله عليه وآله وسلم والأئمةعليهم السلام، وهو يرمز إلى أن الصبي بما أودع الله تعالى فيه من مقومات معينة وحمّله من مسؤوليات مستقبلية، يحملك أيها الأب مسؤولية إضافية في تقويم تربيته، حتى تستحق هذه النعمة وتكون قد أديت حقها. أما بالنسبة للبنت فهي حسنة تدر عليك الخير، وفي روايات أخرى هي رحمة بالنسبة إليك، فعليك أن ترعى الحسنة والرحمة برحمة ولطف أيضاً حتى تكون منسجماً مع هذا التوجيه.

فلا تظن أن الصبي عطاء يجب رعايته والاهتمام به إلى أقصى الدرجات وتتوقع أن يجلب لك الاسم والمنافع الكثيرة، وأن البنت نقمة تتعاطى معها بسلبية معتبراً إياها عبئاً ومأزقاً، بينما هي الرحمة التي تثاب عليها والصبي هو النعمة التي تُسأل عنها. إن قول الإمام الصادقعليه السلام: «البنون نعيم والبنات حسنات» هو حث على إيجاد

---

(١) الكافي - ج٦ ص٧.

التوازن العاطفي والعملي لتعديل الكفة النفسية، التي قد تحصل للوهلة الأولى عند رغبة الإنسان في أن يميز بين الصبي والبنت على أساس الأدوار المستقبلية، وعلى أساس التمايز في طبيعة الخلق.

١٣ - أسلوب المجتمع الغربي مع الأطفال

في المجتمع الغربي باستطاعة الولد أن يوقف أباه عند حده ويشكوه عند الشرطة، كيف يمكن لمجتمعاتنا أن تضمن حق الولد؟

في المجتمع الغربي الأمريكي عموماً والأوروبي خصوصاً، يعلّمون الولد منذ الصغر أرقام هواتف الشرطة، فإذا ما قام والده بعمل لا يعجبه أو يزعجه أو يعتبره مؤذياً له، يستطيع الاتصال بالشرطة، فيحضرون للتحقق بحسب الحدود المرسومة، فالموضوع لا يرتبط بسن الثامنة عشرة فقط، لأنه في هذه السن يصبح حراً بالكامل وإن كان في بيت والديه، لكن كل الإحصاءات تتحدث عن صرخة من الآباء والأمهات، وهي تعبّر عن المشاكل التي تعتريهم في تربية أولادهم الذين أصبحوا قليلي الأدب والاحترام، وعن فقدان السيطرة لتوجيههم. إنَّ الولد ابن ثلاث أو أربع أو عشر سنوات الذي تعطيه الحرية والصلاحيات في أن يقرِّر، معنى ذلك أنه هو الذي يتحكم بالعملية التربوية لوحده، ومع وجود التلفاز والإنترنت والمدرسة والمجتمع فسيختار ما يعجبه، مع أن هذا الولد بحاجة الى توجيه وإرشاد ولا يجوز تركه لوحده في المعترك، وإلا ستكون النتيجة

فوضى، وليس هناك أي أسس وقواعد وضوابط لذلك.

إن التمثل بالمجتمع الغربي لا يعطينا الحل، لأننا إذا أردنا أن ندخل إلى المجتمع الغربي ونبدأ بذكر اجتماعياتهم وأخلاقياتهم وفسادهم فنحن أمام كارثة، ولا أتحدث عن التقدم العلمي فهذا أمر مهم ومفيد.

إنهم يطلقون علينا اسم بلاد العالم الثالث، لأن في بلداننا نواقص كثيرة على كل المستويات، ويسموننا أيضاً الدول المتخلفة ثم يلطفونها فيقولون الدول النامية. إنَّ هذه الدول تعاني من أزمات سياسية واقتصادية وفي مختلف المجالات، وأنظمتها مهترئة بشكل عام وليس فيها ضوابط قانونية كافية تحمي المواطن أو تساوي بين المواطنين في الحقوق والواجبات، إضافة إلى الإدارة المتعثرة. فكيف يمكن أن يفكر أحد بتقليد الغرب في طريقة التعاطي مع الأطفال، وذلك بالشكوى إلى قوى الشرطة المتخصصة بشؤون الأهل؟! فضلاً عن ثبوت فشل هذه الطريقة، فإن التفكير بتطبيقها في مجتمعاتنا ضرب من التهور والضياع!. ثم هل تمتلك الحكومات أهلية كافية لسن قوانين وأنظمة تساعد في بعض المجالات المطلوبة؟!إن بعض من يطرح هذه الفكرة، يرغب في تسييب المجتمعات الشرقية كما هي الغربية لاعتبارات ثقافية وفكرية، وليس لما فيها من نجاح!.

إن المشكلة ليست في أن يشتكي الولد للسلطة حتى تناصره ضمن ضوابط العلاقة السليمة، إنما هي في مستوى فهمنا لمضمون

الإسلام، فإذا فهمنا الإسلام والتزمنا بتعاليمه، فلا حاجة لشرطة ولا لتدخُّل الدولة، لأن تنمية الالتجاء إلى مفردات الحقوق والواجبات تحمي المجتمع، ولأن تنمية الوازع الداخلي أو الضمير يساعد على التربية والتأديب والتوجيه، وعند حصول اختلافات معينة يكون التحكيم عند شيخ القرية أو الحي أو الرجل الموقر الموثوق بين الناس، وهذا يساعد في المعالجة، فالتربية لا تصلح عندما تكون العصا والشرطة عنواناً لها.

١٤ - بين البلوغ وسن الثامنة عشرة

نلاحظ في المجتمع الغربي عندما يبلغ الولد سن الـ ١٨ يتحرر من والديه ويمكن أن يقاضيهما، ما هو موقف الإسلام من ذلك؟

إنَّ الإسلام يعتبر الصبي مكلفاً ابن خمس عشرة سنة هجرية أو عندما يبلغ، وتكلف البنت عند بلوغها التاسعة هجرية. عند التكليف يختلف التعاطي مع الولد الذي يجب أن يتحمل المسؤولية، فقد أصبح مكلفاً ومحاسباً على أعماله في الآخرة وكذلك في الدنيا. يشجع الإسلام على أن تستمر رعاية الأب بحسب حاله في الإنفاق على أولاده، بل يوجب عليه ذلك مع قدرته وعجزهم، وقد يبقى الصبي في رعاية والده وإنفاقه وهو في سن الثامنة عشرة أو العشرين أو أكثر من ذلك، وقد تستمر البنت فترة طويلة وتبقى داخل البيت عند أهلها إلى حين زواجها، وعلى الأب بكل روحية وبكل طيب خاطر أن يرعى وينفق ويساعد، هذا كله مرتبط بالتوجيه الإسلامي في عدم لفظ

الأبناء أو إخراجهم من البيت في سن معينة أو تحميلهم أعباء لا يتحملونها. أما إذا أصبح لدى الإبن القدرة المالية للإنفاق على نفسه، لكنه مستهتر وقليل الاهتمام أو لا يحب أن يعمل، ويريد أن يبقى عالة على والده مع أن الفرص مفتوحة أمامه وهو يهملها، عندها يحق للأب أن يحمله المسؤولية في الإنفاق على نفسه.

في المجتمع الغربي قاموا بوضع حد فاصل له علاقة بالعمر، وليس له علاقة بالقدرات ولا بالظروف الاجتماعية وهذه منهجية مختلفة. فالاستقلال في القرار لابن الثامنة عشرة حيث يستطيع أن يفعل ما يريد، ويأخذ القرار الذي يريده، ويستطيع أن يخرج من البيت ساعة يشاء ويفعل ما يشاء دون صلاحية للأب لمطالبته أو تقييده رغم أنه ينفق عليه، يعتبر تشجيعاً للولد ليتمرد في سن مبكرة نسبياً وقبل أن يستقل في بيته.

إنَّ الإسلام قد سمح لهذا الولد أن يستقل إذا أحب ذلك وكان يملك الإمكانيات ويريد أن يبدأ حياة الزوجية أو أن يستقل قبل ذلك، على أن يراعي قواعد الإحسان للأهل.. طالما أن لديه قدرة على الإنفاق فليتوكل على الله ويقوم بما يريد، بينما أبقى البنت في حالة خاصة واستثنائية، لأن ظروف المجتمع لا تتحمل استقلالية البنت في بيت خاص قبل الزواج أو الخروج في أوقات معينة، حتى لا تصبح محط الأنظار وإثارة علامات الاستفهام حولها، وإلا هي كالشاب في قراراتها، لكنها تختلف في شرط موافقة وليها (الأب أو الجد) على

زواجها. مع ذلك تدخل عناوين الإحسان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتقييد حركتها المستقلة بسبب خصوصية المجتمع.

أما في الغرب فالولد ذكراً كان أو أنثى فلديه حرية التصرف الكاملة في الثامنة عشرة من عمره، ولن أكرر الحديث في النتائج المأساوية والفساد الأخلاقي الكبير، لكن رعاية ومسؤولية الأب لم تعد موجودة، والندّية قائمة بين الأهل والأولاد بدل الاحترام أو العلاقة الأسرية. فالفرق شاسع جداً بين نظرة أبنائنا لآبائهم ونظرة أبناء الغرب للآباء، فقد أصبح الأب في الغرب مثل مدير شركة مع موظفين لديهم حصانة، وبعد استقلالهم يصبح خارجاً عن حياتهم. أما عندنا فنوعية العلاقة التي تُبنى على صلة الرحم تستمر إلى آخر رمق من حياة الأهل، ولها دلالة أخلاقية ونفسية واجتماعية مهمة، وهي محميّة بحماية حقوق كل فرد من أفراد العائلة بضوابط الحقوق والواجبات.

١٥ - نصيحة

الآباء يتعبون كثيراً، أقول لهم: أنتم تضحّون وتعملون وتجاهدون فلا تجعلوا تضحياتكم تذهب هباء. ليست تربية الولد بتهيئة المعاش والإنفاق عليه فقط، إنما تربية الولد بتوفير ظروف الرعاية والتأديب الذي ينسجم مع الإسلام، علموا أولادكم وراقبوهم وتابعوهم وتعاطوا معهم بحنان وعطف، وراعوا حقوقكم لديهم وحقوقهم لديكم، وإذا أخطأتم عدّلوا من خطئكم فهذه مكرمة، وإذا اطّلع بعض الأبناء على هذه الحلقة، وواجهوكم ببعض الأخطاء،

فاسبقوهم وقولوا لهم سنعدّل، لأننا فهمنا بعض الأفكار الإسلامية، أو اسبقوهم قبل أن يسألوكم، ولا تخشوا من مقولة الحق حتى لو كانت عليكم، لأن الأجر الكبير عند الله هو الذي يجعل الإنسان يتجاوز كل شيء. إنك أيها الأب ستثاب على حسن أدائك مع ولدك بصرف النظر عن نتيجة عمله، وستعاقب على سوء الأداء معه بصرف النظر عن نتيجة عمله، لأنك مسؤول عن حسن التربية والأداء، أما التوفيق فعلى الله جل وعلا.

الحلقة الرابعة

حق الولد

(الجزء الثاني)

١ - التعامل مع المرحلة العمرية للولد

كيف نتعامل مع الولد مع اختلاف نموه وعمره؟

التعامل مع الولد يختلف باختلاف عمره، لأن تكوينه النفسي والعقلي والجسدي يختلف من عمر لآخر، ولأن استعداداته تنمو بشكل تدريجي لتشكل خصوصية ترتبط بكل مرحلة عمرية لها أساليبها الخاصة في التعامل.

أ- فالطفل إلى سبع سنوات تنمو قدراته ببطء، وتتركز معالم قدراته الأولية، ويتعامل مع المحيط كساحة لعب وتسلية، ولا يدْرك معنى المسؤولية بدقة. إن الاستجابة لمتطلباته وعدم تحميله ما لا يطيق، يساهم في تنميته ليعيش طفولته بشكل سليم، فالضوابط والأوامر خفيفة ومحدودة، وتُمَرَّر له تباعاً دون إثقاله بأعباء كثيرة، والتسامح في

هفواته وأخطائه العفوية الطفولية يعتبر أمراً طبيعياً، بل التصابي معه ومجاراته في لعبه جزء لا يتجزأ من العملية التربوية، لربطه بمحبة والديه في أنهما يواكبانه ويهيئان له ما يرغبه، ليتمكنا من الاستفادة من هذا الحب لحسن الإدارة والتوجيه. وعندما يذكر في الحديث: «**دع ابنك يلعب سبع سنين**» فهو توجيه لخصوصية الولد واهتماماته، من دون التخلّي عن مسؤولية المتابعة والضبط المناسب. إن حرمان الولد من طفولته يؤدي إلى مجموعة من العُقد التي تصاحبه في شبابه وكامل حياته، وتنعكس على تصرفاته وسلوكه.

إن أكثر تركيز الأهل يكون على الطعام والشراب والصحة، أما التربية فتعتمد على الوضع التقليدي في جملة من الأوامر والنواهي الصارمة والكثيرة التي تحاصر الولد دون أن تأخذ بعين الاعتبار انفعالاته وتأثره. لقد ركز الإسلام على مجموعة من الضوابط للتعامل مع الطفل تؤسس لمستقبل تربوي أفضل، نذكر منها:

١- أهمية الأم ودورها في العملية التربوية، فأمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «**انظروا من تُرضع أولادكم فإن الولد يشبّ عليه**»[١]، فالإرضاع هنا لا يقتصر على اللبن، وإنما يمتد لأخلاقية وسلوك وتربية الأم، بما تعكسه من شخصيتها مع الإرضاع.

٢- التصابي مع الولد وكأنّه يتعامل مع أبناء جيله، فعن رسول

(١) الكافي - ج٦ ص ٤٣/ ١٠.

الله ﷺ: **«مَن كان عنده صبي فليتصاب له»**[1]، لأن التصابي مدخل إلى محاكاة طفولة الولد، والنفاذ منها للتأثير عليه. وهذا يختلف عن إطلاق العنان لسلوك خاطىء أو تشجيعه للتمرد على الضوابط، الذي ينعكس غنجاً ودلالاً يصعب ضبطه لاحقاً.

٣- تعزيز العلاقة العاطفية بالحب، وترجمة هذه العلاقة بتقبيل الولد، وتعزيزها بتحقيق رغباته بما يتناسب مع حسن تربيته. روي عن رسول الله ﷺ أنه عندما خرج على عثمان بن مظعون ومعه صبي صغير له يلثمه، **«قال له: ابنك هذا؟ قال: نعم. قال: أتحبه يا عثمان؟ قال: أي والله يا رسول الله أحبه. قال: أفلا أزيدك له حباً؟ قال: بلى فداك أبي وأمي. قال: إنه من يرضي صبياً له من نسله حتى يرضى ترضّاه الله يوم القيامة حتى يرضى»**[2]، إن هذه المحبة تنعكس رحمة على الأب في يوم القيامة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: **«إن الله عزَّ وجل ليرحم العبد لشدة حبه لولده»**[3]، فالمحبة تُولد مناخاً إيجابياً للتربية الهادفة.

٤- الرحمة بالولد، فعوده طري، ويفتقر إلى الإدراك السليم والتجربة، ما يستدعي التعامل معه بلطف ورقة وصدق. قال رسول الله ﷺ: **«أحبوا الصبيان وارحموهم وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم**

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي - ج٢١ ص٤٨٦.

(٢) كنز العمال ٤٥٩٥٨.

(٣) الكافي للكليني - ج٦ ص ٤٩/ ٥.

فإنهم لا يدرون إلاّ أنكم ترزقونهم»[١]. إن التوجيه نحو الأساليب الأنفع لا يكون معزولاً عن المضمون السليم لتلقين الولد وتعليمه، إذ **«كل مولود يولد على الفطرة إلاّ أن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»**[٢]، كما ورد عن رسول الله ﷺ، فهو ابن بيئته الثقافية والاجتماعية والأخلاقية والدينية، ويتأثر بالكلمة والحركة والمعاملة وأجواء الأولاد الذين يعاشرهم والمدرسة التي يذهب إليها، وهنا الصعوبة في تهيئة المناخات المناسبة لتربية أفضل يتكامل فيها التعلم واكتساب التجربة وحُسن الأساليب.

ب ـ أما الفترة العمرية الثانية والحساسة، فهي من سن السابعة إلى الرابعة عشرة، ويدخل فيها النضج الجسدي الذي يؤدي إلى مرحلة المراهقة، وكذلك الاستعدادات الشخصية والنفسية التي تكون مهيأة للتلقي، والتي تتطلب متابعة دقيقة. فالغالب على هذه المرحلة ثلاثة أمور هي: التعليم والتأديب والمتابعة. وهذا ما يبرز في الرواية عن رسول الله ﷺ: **«مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر**[٣] **سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»**[٤]. فالأمر بالصلاة لسبع سنين مع عدم التكليف الشرعي

---

(١) الكافي ـ ج٦ص٤٩/٣.

(٢) الاحتجاج ـ ج٢ ص١٧٦.

(٣) في بعض الروايات تسع سنين.

(٤) كنز العمال ٤٥٣٢٤ ـ بحار الأنوار ج٨٥/ ١٣٣ حيث وردت الرواية في روايتين منفصلتين.

لعدم البلوغ، يستلزم تعليماً لها، وهو طريق للتعويد والألفة مع الصلاة ما يساهم في التأديب والتوجيه، ليأتي الضرب «التأديبي» في العاشرة والذي لا يؤدي إلى الأذية الجسدية مهما كان نوعها، فيكون عاملاً من عوامل التأديب والملاحقة، حتى لا يكون التراخي مقدمة لعدم الإقبال على الصلاة عند التكليف، ثم يُضاف التوجيه الدقيق في التفريق بين الأولاد أثناء النوم، فلا يكونون تحت غطاء واحد وفراش واحد، كإجراء وقائي بسبب بداية التغيرات الجسدية وتأثيرها على العامل الجنسي، ما يُخشى معه الانحراف وسلوك الطريق الخاطئ. فالضوابط في دائرة الإيجاب أو السلب، ومتابعتها باحتياطات قبل أوانها، هي للتعويد على السلوك الإسلامي المطلوب.

ويتبين لنا ما في هذه المرحلة، ما ورد من عناوين لها وبتعابير مختلفة في الروايات التي تحدثت عن المراحل العمرية المختلفة، نذكر منها:

١- عن رسول الله ﷺ: **«الولد سيد سبع سنين، وخادم سبع سنين، ووزير سبع سنين، فإن رضيت مكانفته(جملته في كنفك)لإحدى وعشرين، وإلاّ فاضرب على كتفه، قد أعذرت إلى الله فيه»**[١].

٢- وعن رسول الله ﷺ: **«الولد سيد سبع سنين، وعبد سبع سنين، ووزير سبع سنين، فإن رضيت أخلاقه لإحدى وعشرين، وإلاّ**

(١) كنز العمال ٤٥٣٣٨.

فاضرب على جنبه، فقد أعذرت إلى الله»[1].

٣- وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«يرخى الصبي سبعاً، ويؤدب سبعاً، ويستخدم سبعاً، وينتهي طوله في ثلاث وعشرين، وعقله في خمسة وثلاثين، وما كان بعد ذلك فالتجارب»**[2].

٤- وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبعاً، والزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح، وإلاّ فلا خير فيه»**[3].

٥- وعن الصادق عليه السلام: **«الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلم الكتاب سبع سنين، ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين»**[4].

فالولد في هذه المرحلة «عبد وخادم ويؤدب ويتعلم» -كما في الروايات الخمس أعلاه-، وهي إشارات إلى استعداده لتنفيذ الأوامر وتلبية التوجيهات، وإلى ضرورة أن يوجّه ليكون كذلك. فهو عبد وخادم أي يطيع دون رفض، ويؤدب في دائرة الملاحقة والمتابعة ورسم الحدود، ويتعلم لتتكون عنده بنية معلوماتية، تشكل رصيداً لمعلومات أولية سليمة تساعده في الفهم والوعي وحُسن الحكم على الأشياء بشكل سليم، إستناداً إلى هذه المقدمات الصحيحة التي تلقنها وتأسس عليها.

---

(١) مكارم الأخلاق للطبرسي ـ ص ٢٢٢.

(٢) المصدر نفسه ـ ص ٢٢٣.

(٣) المصدر نفسه ـ ص ٢٢٢.

(٤) وسائل الشيعة ـ ج١٧ ص ٣٣١.

إن هذه المرحلة تتطلب جهداً كبيراً، لأنها مرحلة التأسيس، وتتطلب مواكبة تفصيلية ودقيقة، ولا يكفي فيها الإطار العام. ولا يمكن الاطمئنان فيها لاستقامة الأمور، لأن تقلُّب شخصية الولد واردة بشدة في هذه المرحلة، ولأن العوامل المؤثرة لا تقتصر على الأهل، وإنما تشمل المدرسة والعائلة والأصدقاء ووسائل الإعلام وكل ما له علاقة بمخاطبة الولد أو الاحتكاك به. لذا يجب الانتباه لكل كلمة أو تصرف، ضمن رقابة مدروسة وغير متسلطة، وبدراسة بعض الظواهر دون اللجوء إلى أساليب منفرة. لكن الطابع التعليمي والتأديبي مع متابعتهما هو الغالب على التعاطي مع الولد في هذا العمر.

وقد أكدَّ الإمام الصادق عليه السلام هذا المعنى عندما قال: «**إنا نأمر صبياننا بالصيام إذا كانوا بني سبع سنين بما أطاقوا من صيام اليوم، فإن كان إلى نصف النهار وأكثر من ذلك أو أقل فإذا غلبهم العطش والغرث أفطروا، حتى يتعودوا الصوم ويطيقوه، فمروا صبيانكم إذا كانوا أبناء تسع بما أطاقوا من الصيام، فإذا غلبهم العطش أفطروا**»[١].

ج ـ أما الفترة العمرية الثالثة فهي من سن الرابعة عشرة إلى الواحدة والعشرين، وهي الفترة التي تتكون فيها معالم الشخصية المستقلة، فالولد يجنح إلى الاستقلال وإبداء الرأي والاختيار، ويرغب بأن تؤخذ وجهة نظره بعين الاعتبار، ويكره بأن يُعامل بطريقة طفولية، ويتصرف على أساس أنه صاحب قرار، وأنه يتميز بمجموعة من الصفات الخاصة

---

(١) الكافي ـ ج٤ ص١٢٤/ ١.

والمهمة. لذا، نرى بداية المصادمة مع أهله إذا لم ينسجم مع توجيهاتهم، ونزوعه إلى التفاعل مع أصحابه وجوّه الخاص، واختياره لأنشطة تعبر عن هذا المنحى، ومحاولة تقليده للكبار باللباس أو طريقة الحديث أو الجلوس أو التدخين..

إن التعاطي مع هذا العمر يتطلب شكلاً من المؤاخاة مع الصبي أو البنت، وإشعارهما بخصوصيتهما وبالاعتراف بشخصيتهما ومتطلباتهما. ونلاحظ تركيز الروايات الخمس أعلاه في تربية الولد على هذا الاتجاه. ففي الروايتين الأولى والثانية «ووزير سبع سنين»، والوزير للعون والمشاورة وتحمل المسؤولية، وعندما يكون ولدك وزيراً لك، فذلك يستدعي مناقشته ومحاورته والاستئناس برأيه، لتكون وجهة نظره حاضرة قبل اتخاذ أي قرار، فلا ينفع التسلط والآمرية القاسية فهذا يُوَلّد ردّة فعل سلبية. وفي الرواية الثالثة «يستخدم سبعاً»، لأن القابليات التي نمت لديه تمكنه من أن يؤدي بعض المهام بنجاح، فبإمكانك أن تحمله مسؤولية ما، وهو قادر على متابعتها وملاحقتها وذلك بحسب سنه وما ينسجم معه.

وفي الرواية الرابعة «ألزمه نفسك سبع سنين»، أي أبقه إلى جانبك كصديق وأخ، وتعامل معه من موقع النِدِّية لا الفوقية، وهذا لا يعني قدرته على مواكبة تجربتك كأب أو كأم بالكامل، ولكننا نتحدث عن أسلوب التعاطي الذي يُغلِّب المصاحبة والرفقة، وهو أسلوب مطبوع بالتقدير والنضج والحوار.

وفي الرواية الخامسة «يتعلم الحلال والحرام سبع سنين»، وهذا

يختلف عن المرحلة التي سبقتها حيث كان «يتعلم الكتاب سبع سنين»، فالتعلم في المرحلة السابقة إجمالي وتعبوي وتوجيهي، لكن التعلم في هذه المرحلة تفصيلي وتترتب عليه مسؤولية، فهو تكليف يحدد السلوك ويؤثر على المسار العام للشخصية، ويحدد الاتجاه الذي اختاره هذا الشاب. إنَّ تعلم الحلال والحرام هو تعبير عن اختيار المنهج في الحياة، وهو انتقال من التلقين إلى الاقتناع والالتزام والفهم والتبني للتكاليف الشرعية. والتوجيه لنا أن نهيء له سبل تعلم الحلال والحرام، لا أن نتركه دون معرفة أو توجيه، لأنه إذا لم يطَّلع على مسائل الحلال والحرام فستتكوَّن اختياراته من علمه الالتقاطي الذي يأخذه من هنا وهناك، ويكون تأثره بمن أخذ منه أكثر أو أعجبه واستأنس به، دون أن يكون الاختيار مبنياً على أسس الإيمان والاستقامة والصلاح.

إن الالتزام بهذه المراحل الثلاثة لا يعني تشابه التفاصيل في كل مرحلة خلال سبع سنوات، وإنما بيَّنا الإطار العام لكل مرحلة حيث تتفاوت فيها بعض الجزئيات والمتابعات، لكنها تكون محكومة للعنوان العام والقواعد الكلية المذكورة.

٢- البيئة التربوية المؤثرة

ما هي الأجواء المؤثرة تربوياً على الولد؟

الأسرة هي البيئة الأولى والأساسية في تربية الولد، وبمقدار ما يكون

الوالدان ممسكين بخطوات العملية التربوية، يكون التأثير من قبلهما على مستقبل مسار الولد. وعندما نتحدث عن تأثير الوالدين فهذا يشمل التأثير المباشر وغير المباشر، أما المباشر فهو المرتبط بأفكارهما وسلوكهما وتوجيهاتهما التي تنعكس على الولد، وأما غير المباشر فهو المرتبط بالمدرسة والصحبة والجيران والتلفاز وغيرها مما يتم اختياره ومواكبته من الأهل.

وقد علل أمير المؤمنين علي عليه السلام مباشرته لتربية ولده الإمام الحسن عليه السلام، بالسبق لتوفير المقدمات الأفضل والأصلح حتى لا يملأ الفراغ أولئك الضالون والمنحرفون، إذ لا مجال لترك صفحة النفس الإنسانية خالية، فإما أن تكون صالحة وإما أن تكون فاسدة، وهنا تكمن أهمية الخطوات الأولى التي توفَّر للولد، يقول الأمير عليه السلام: **«وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما أُلقي فيها من شيء قبلته، فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لُبك»**[1].

فإذا استعرضنا قناعات الأولاد وسلوكهم عبر التجارب الطويلة السابقة، لوجدنا أن البيئة المحيطة والتي تشكل بيئة الآباء والمجتمع المحيط-سواء كانوا منسجمين معها أو مسيطرة على واقعهم، وسواء اختاروها أو أساؤوا الاختيار ما جعل الأمور خارجة عن سيطرتهم- هي المؤثرة والبانية والمؤسِّسَة.

فهذا النبي إبراهيم عليه السلام يسأل أباه وقومه عن سبب عبادة الأصنام

---

(١) نهج البلاغة ـ كتاب ٣١.

والانحراف عن طاعة الله عزّ وجل: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾[1] ويأتي الجواب: ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾[2].

هذا التقليد الأعمى لبيئة الآباء ليس مُبرَّراً بأجوبة منطقية، بل لا يقبلون المناقشة حول مستوى الوعي والفهم وطريق الهداية، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[3]. ويزداد الموقف صعوبة عندما يتم الدفاع عن قناعات الآباء في أنها أوامر الله تعالى، وهم تعلّموها كذلك، وبدأوا يدافعون عنها من هذه الزاوية ليبرروا انحرافهم ويُسكتوا ضمائرهم، ويقطعوا الطريق على تغيير طريق الفحشاء والمنكر ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[4].

إذا كانت البيئة صالحة، فهذا يعني التأثير على منهج وسلوك الأولاد، وتبرز المهمة الكبرى أمام الأهل في تهيئة مفردات هذه البيئة. إنهم مسؤولون في حُسن التوجيه والتربية والتعليم ومواكبة المراحل العمرية المختلفة، ومسؤولون في اختيار المدرسة بالتركيز على أهدافها التربوية وعدم الاقتصار على الظاهر التعليمي،

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٥٢.
(٢) سورة الأنبياء الآية ٥٣.
(٣) سورة البقرة الآية ١٧٠.
(٤) سورة الأعراف الآية ٢٨.

فالمدرسة هي المعلم الثاني والموجِّه الفعال للولد، ومسؤولون في ما يتابعه على شاشة التلفاز دون الاستهتار بالمشاهد والمضامين، ومسؤولون في معرفة صحبته وأخلاقيتهم وبيئتهم لأنهم ينقلون ما عندهم إلى ولدهم، ومسؤولون عن مواكبة وقته كيف يمضيه لأنه يمثل مداميك بناء الشخصية بالتراكم التدريجي مع الزمن. فإذا لم يتابع الوالدان تربية ولدهما بشكل مباشر وغير مباشر وبهذه السعة والشمولية، أو لم يكونا مؤهلين لقصور عندهما أو لتقصير بسبب اهتماماتهما الأخرى، أو كانت المؤثرات الخارجية أقوى من مقدرتهما على الضبط والمواكبة، فستكون التربية عندها على عهدة غيرهما صلاحاً أو فساداً. وهذا ما يُفسر صلاح الولد مع فساد الأهل، أو فساد الولد مع صلاح الأهل، أو بعض التمايز الذي يكون بينهما.

٣ - دور الصحبة

ما هو المؤثر الثاني المباشر والفعال بعد الأهل؟

يعتبر الصديق أو الصاحب المؤثر الثاني المباشر بعد الأهل، فقد يتفوق بتأثيره إذا استحوذ على الولد ومثَّل له نموذجاً وقدوة، ولا اعتبار للعمر في الصداقة وإن كانت غالباً في سن متقاربة، إذ قد يكون الصديق المؤثر أكبر عمراً وأكثر خبرة وأقدر تأثيراً، فالاهتمام بالصحبة عامل أساس في تربية الولد. وقد ذكر لنا القرآن الكريم نموذجين في العلاقة مع القرين(الصاحب)، الأول لم يتأثر بقرينه لأن بناءه الإيماني

كان متيناً، وعند دخوله الجنة يسأل عن قرين السوء الذي حاول أن يؤثر عليه: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۞ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۞ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾[1]. أما الثاني فقد تأثر وستبرز ندامته عند الحساب لكنه سيدخل إلى جهنم ولن تنفعه هذه الندامة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ۞ وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾[2].

من هنا تركيز أمير المؤمنين علي عليه السلام على المعاشرة وتبيان نتائجها العملية، فهي حياة القلوب عندما تكون لذوي الفضائل **«معاشرة ذوي الفضائل حياة القلوب»**[3]، وهي طريق السعادة نظراً للفوائد الجمَّة التي يكتسبها المرء من عِشرة أهل الفضل **«عاشر أهل الفضل تسعد وتنبل»**[4]. وحذار فيمن تسر له وتطمئن لعشرته ولا يكون أهلاً لذلك **«غلط الإنسان فيمن ينبسط إليه أخطر شيء عليه»**[5]، وإذا أردت معرفة معدن وجوهر أي إنسان فانظر إلى صحبته فـ **«خوافي الأخلاق تكشفها المعاشرة»**[6].

بما أن الصديق يشكِّل هذا التأثير الكبير، فنحن معنيون بتوجيه

---

(١) سورة الصافات الآيات ٥٠ ـ ٥٢.
(٢) سورة الزخرف الآيتان ٣٨ ـ ٣٩.
(٣) غرر الحكم ٩٧٨٥.
(٤) غرر الحكم ٩٧٧٣.
(٥) غرر الحكم ٥٧٣٤.
(٦) غرر الحكم ١٠٠٢٩.

ولدنا لاختياره. تنحصر الصحبة بالعمر المتقارب، وهذا يعني أن اختيارنا للصحبة يرتبط بالمعلم المربي الذي يواكب عدداً من التلامذة ويصبح المؤثر على سلوكهم، أو يرتبط بالنادي أو الكشّاف أو بعض الأنشطة التي يرغبها الولد وتربطه بقائده الكشفي أو مدرّبه في النادي حيث يقوم هذا القائد أو المدرّب وكذلك المعلّم المربّي بدور القدوة والرمز والموجّه والمؤثّر بطريقة الصحبة ورفع الكلفة، فإن هذا الأمر يملأ فراغاً في حياة الولد، ويهيىء لبناء سلوكي يؤثر في اختيار الصحبة المقاربة لعمر الولد من المحيط نفسه ومن الأجواء نفسها. فمع استقامة هذا الاختيار للقدوة والصحبة، يكون المسار مُطمئناً، وتكون خطوة أخرى لتربية الولد في الاتجاه الصحيح.

٤ - الأسئلة عن الجنس

توجد أسئلة محرجة ترتبط بالجنس ويُربك الأهل في الإجابة عنها، ما هو الحل؟

أصعب ما يواجهه الأهل في المسار التربوي، تلك الأسئلة الحرجة التي تزداد مع النمو الجسدي والعقلي للولد، فتغيراته الجسدية وخاصة في سن المراهقة تضعه أمام تحولات تتطلب إجابات واضحة تُشبع رغبته في معرفة ما يحصل له، ونموه العقلي يدفعه للاستفسار عن أشياء يلاحظها في البيت أو المجتمع ويسعى للحصول على الأجوبة المقنعة ليؤسس عليها رصيده المعرفي.

هنا يبدأ المأزق، لأنَّ مجتمعنا قد تربى على تحريم الحديث

الذي يرتبط بالجنس، مع أنه محل ابتلاء في سن المراهقة، وهذا يضعنا أمام احتمالات عدة في كيفية الإجابة التي تتبعها نتائج متلازمة معها:

١- رفض الحديث بالمطلق بين الوالدين وولدهم (الصبي أو البنت)، ما سيدفع الولد للبحث عن الأجوبة من زملائه أو أستاذه أو أيّ وسيلة أخرى، ولا ضمانة للاستنتاجات الصحيحة أو الخاطئة التي سيحصل عليها.

٢- الإجابة على الأسئلة فقط، وبطريقة مختصرة ومحددة، مع الإشعار بضرورة عدم التمادي، مما لا يؤدي إلى كامل النتيجة المرجوَّة، فتكون التكملة على قاعدة الاحتمال الأول، أي من الآخرين أو التجربة الذاتية.

٣- الحديث المفتوح غير المتحفظ والذي يشارك فيه الجميع داخل الأسرة، وهذا يؤدي إلى إثارة لموضوعات في غير أوانها بالنسبة إلى بعض الأولاد، ويُوجِد جواً من قلة الحياء في التعاطي مع هذه المسائل، ما يصيب الناشئين بأضرار وتعقيدات وتجارب سلبية في دائرة الاكتشاف قبل أوان النضج والنمو، وكذلك يوقع ـ بسبب عدم التحفظ- في دائرة الإشكالات والإثارات الجنسية.

ولن نخوض في كل الاحتمالات السلبية المحتملة التي تعود في أغلبها إلى الاحتمالات الثلاثة، لننتقل إلى الحديث عن الاحتمال الأفضل:

لكل عمر نمو، ولكل نمو متطلبات عقلية وجسدية ونفسية، وعلى الأهل أن يتدرجوا مع الولد في مواكبته في مراحل النمو المختلفة، فكما يتدرج الإطعام من الحليب إلى بعض المأكولات إلى أن يصبح بالاختيار مما أنعم الله تعالى، وكما يتدرج التعويد على المشي من الحبو إلى التمسك بالكرسي أو الطاولة أو الانتقال البطيء ثم إلى المشي، وكما يتدرج التعلم المدرسي من الحضانة إلى الروضة إلى الصفوف العليا، ومن الأحرف الأولى والكلمات إلى الجمل والمعاني والربط، فكذلك يجب التدرج في متابعة نموه الجسدي وأسئلته المواكبة له، لنعمل على خطين:

الأول: تعليمي، بأن نبادره بالتوجيه والإلفات والتعليم.

الثاني: تفاعلي، بأن نستمع لأسئلته ونشجعه عليها ونقدم الإجابات المناسبة عنها.

فإذا كان الأهل قادرين على القيام بهذه المهمة وإتقانها فهذا أفضل، وإلاَّ فعليهم توجيه ولدهم إلى مربٍّ يتابعه في هذا الشأن (بأسلوب مباشر أو غير مباشر)، بحيث يستفيد لتحصيل المعرفة المطلوبة، ولا يخفى ما لمدرس الدين والشيخ والمدرسة والأستاذ المحبوب من أثر في هذا المجال.

لكننا سنبقى عند مهمة الأهل بالأولوية، فالتعليم أساس ويمكن مباشرته أو الاعتماد على المدرس أو حلقات المسجد، ضمن التوجيهات المسؤولة في إيمان الأهل، ولا يوجد مشكلة في حديث

الأهل عن المسائل الجنسية، لكن ضمن ضوابط الأدب والحشمة من ناحية، والتدرج الضروري في المعرفة من ناحية أخرى، فنضمن بذلك عدم الوقوع في قلة الحياء، ولا نتوسع خارج دائرة المطلوب، وفي التوجيه العام يقول الرسولﷺ: **«إنَّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»**[1].

وها هو القرآن الكريم يحدثنا عن نهج هدايتنا، ومن ضمنه حديثه عن الزواج والعلاقات الزوجية والحيض والجنابة... بأسلوب تعليمي وأدبي رفيع وبإشارات يتم التوسع فيها مع أحاديث الرسولﷺ والأئمةﷺ بحسب الحاجة. وإذا سألنا الصغير عن معنى آية أو كلمة لا يمكنه فهمها بسبب سنّه، نخبره بعدم قدرته على استيعابها وعندما يكبُر تتم الإجابة المناسبة.

فإذا أضفنا بعض الخطوات لتعويده عليها كنمط في السلوك الأسري داخل المنزل، والتي تُبقي الحدود والضوابط الأخلاقية التي لا تنعكس سلباً على سلوكه أو نظرته إلى الأمور، كتحديد المسموح والممنوع، والالتزام بها دون الحاجة إلى تفصيلها في بعض الحالات، وكجزء من نظام البيت، فإننا نتمكن من رسم آلية للمعرفة وللعلاقة العملية كتعويد يصبح مألوفاً، فمع المواكبة والمتابعة وفق التفاصيل التي ذكرناها في هذا الاحتمال نصل إلى مرادنا.

---

(١) الكافي للشيخ الكليني - ج١/ ٢٣.

إن مسؤولية الأهل هي التصرف بشكل طبيعي مع التوجيهات الإلهية. فإذا أراد الولد أن يدخل إلى غرفة والديه، عليه الاستئذان قبل الدخول في أوقات ثلاثة: قبل صلاة الفجر، وأثناء استراحة الظهر، ومن بعد صلاة العشاء، سواء أكان الولد صغيراً أو بالغاً، وفي هذا يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(١).

ويُفرق بين الأولاد في المضاجع وهم أبناء عشر سنين، فلا ينامون في فراش واحد تحت غطاء واحد. وتُطرح الموضوعات الخاصة في داخل الأسرة بطريقة ثنائية مع تعويد الآخرين بعدم التدخل والحشرية في كل أمر وسؤال.

هذه العلاقة الصريحة والواضحة والمتفاعلة بين الولد ووالديه أو أحدهما بحسب توزيع الأدوار بينهما ضرورية جداً، لمواكبة تربية تنسجم مع نمو الولد ولا توقعه في أزمات أو تخرجه عن طريق معرفة تكليفه بالطرق المستقيمة، خاصة عندما يكون على أبواب التكليف الشرعي أي سن البلوغ الشرعي، حيث يكون مسؤولاً عن معرفة تكليفه وحُسن تنفيذ موارد الابتلاء، وفي هذا يقول الإمام الخميني

---

(١) سورة النور الآية ٥٨.

(قده): «**يجب تعلم مسائل الشك والسهو وغيرها مما هو محل الابتلاء غالباً، إلاَّ إذا أطمأن من نفسه بعدم الابتلاء بها، كما يجب تعلم أجزاء العبادات وشرائطها وموانعها ومقدماتها**»[1]، وعليه أن يسأل ليتعلم، وكما قال الرسول ﷺ: «**حسن السؤال نصف العلم**»[2]، بل يجب عليه أن يسأل، فأمير المؤمنين علي عليه السلام يقول: «**سلْ عما لا بدَّ لك من علمه ولا تعذر في جهله**»[3]. والأهل معنيون بمساعدته وتوجيهه ومواكبته، فإن لم يكونوا قادرين بشكل مباشر، فليكن بإرشاده أو تسهيل صلته بمن يتمكن من ذلك بالطريقة الصحيحة.

---

(١) تحرير الوسيلة للإمام الخميني (قده) ـ ج١ ص٩.

(٢) بحار الأنوار ـ ج ١٠١ / ٧٣.

(٣) غرر الحكم ٦٦٠.

الحلقة الخامسة

حق الأخ

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: «وأما حق أخيك، فتعلم أنه يدك التي تبسطها، وظهرك الذي تلتجيء إليه، وعزّك الذي تعتمد عليه، وقوتك التي تصول بها، فلا تتخذه سلاحاً على معصية الله، ولا عدة للظلم بحق الله، ولا تدع نصرته على نفسه، ومعونته على عدوّه، والحول بينه وبين شياطينه، وتأدية النصيحة إليه، والإقبال عليه في الله، فإن إنقاد لربّه، أحسن الإجابة له، وإلاّ فليكن الله آثر عندك وأكرم عليك منه».

* * * * * *

١- الأخ في إطار الأسرة

يطلق مصطلح الأخ على المولود بالنسبة لمولود آخر من أم واحدة فيكون أخاه لأمه، أو من أب واحد فيكون أخاه لأبيه، أو من أم وأب فيكون أخاه لأمه وأبيه، وبتعبير آخر: الأخ من جمعك وإياه بطن

أو صلب أو هما معاً. وقد اهتم الإسلام بتعزيز الروابط الأسرية ومنها رابطة الأخوة، وأولاها اهتماماً كبيراً. فالأخوة يعيشون مع بعضهم فترة الطفولة والشباب تحت سقف واحد، ويرتبطون برابطة الدم والرحم، ما يتطلب خصوصية في التعاطي لا تتشابه مع العلاقات الاجتماعية العامة.

الأخ يعيش مع أخيه الأيام الحلوة والمرة، ويحتاج إلى مساندته وعونه ونصحه وتأييده، ويأنس بالأيام التي يقضيها معه. فالإنسان بحاجة إلى من يحنو عليه، ويشعره بخصوصية في العلاقة تتجاوز العلاقات المادية المقننة في إطار حسابات المجتمع. إنها علاقة خارجة عن دائرة التجريد، فهي علاقة عاطفية حيث تكون المحبة والمودة والإيثار والتعاون والنصرة... عناوين ملازمة لها.

هذه الأخوة هي نتيجة خلق الله واختياره، ولا مجال للتعامل معها على أساس الاستنساب والاستئناس، إذ يمكنك اختيار أصدقائك وجيرانك، ولكن لا مجال للتعاطي مع الأخوة بانتقائية. بمعنى آخر: يجب أن تضع نصب عينيك كيف تحافظ على علاقتك بأخيك؟ فالأصل استمرارية العلاقة وسلامتها، وإزالة الشوائب من طريقها، وتحمل المصاعب التي تعترضها، والمبادرة لتحصينها. المطلوب بذل الجهد لتكون الأفضل، ولتعزيز العلاقة العاطفية فيها، ولتدعيمها بكل أسباب الحياة والفعالية.

إن الإسلام قد ركز على صلة الرحم ومنها علاقة الأخوة، لما لها من آثار نفسية وتربوية واجتماعية وعملية، ولما لها من معانٍ سامية ونبيلة في إنسانية الإنسان، وفي تكوين مجتمعه الصغير الذي يطل من خلاله على المجتمع الكبير. فإذا لم يكن المرء قادراً على ألفةٍ في إطار الأسرة، وإذا لم يكن مستعداً لتأسيس علاقة المودة من خلال الأخوة، فأي قدرة له واستعداد عنده ليكون إنساناً فاعلاً ومفيداً في المجتمع؟!

٢- قواعد السلوك

حدد الإمام زين العابدين عليه السلام في حديثه عن حق الأخ كيفية النظرة إليه، وقواعد السلوك معه. أما النظرة إليه فتتمحور حول القوة والمساندة التي يشكلها الأخ لأخيه، فهو يدك التي تبسطها، فتكون سنداً إضافياً تستفيد منه، وظهرك الذي تلتجيء إليه، حيث يمثل الظهر قوام الجسد وشموخه، وهو عماد الدعم في الشدائد، وعزُّك الذي تعتمد عليه، فتضاف إلى مكانتك في المجتمع مكانة أخيك وموقعه وما يضيف إليك من عزّ ومنعة، وقوتك التي تصول بها إذا وقعت في أزمات أو صعوبات، إذ يكون إلى جانبك في مواجهة الأعداء والجائرين والظالمين.

أما قواعد السلوك: فلا تتخذه سلاحاً على معصية الله، لأن خصوصية الأخوة لا تعني سقوط الضوابط الشرعية، بل هي عون لها

وقوة من خلالها. وليس من حق الأخ أن يسخط لعدم وقوف أخيه إلى جانبه فيما يُغضِب الله تعالى من ارتكاب للمحرمات ومنها الظلم، فالأخ ليس سنداً لأخيه في ظلمه بل هو سند له في الخير ومعين له في إبعاده عن الشرور، ولهذا يجب أن ينصره على نفسه بردعه عن المعاصي والظلم، وأما معونته على عدوه فهو من مستلزمات الأخوة. قال رسول الله ﷺ: **«انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. قيل: يا رسول الله، نصرته مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟ قال ﷺ: تمنعه من الظلم فذلك نصرك إياه»**[1].

وعليك أن تهديه إلى الاستقامة والطاعة لله تعالى، فتحول بينه وبين وسوسات شياطينه وأصحابه ورغباته، وتنصحه بما ينفعه لدنياه وآخرته، وبما يمكِّنه من الإقبال على الله تعالى، بتشجيعه على العبادة، والقيام بالأعمال الصالحة، ومعاشرة الأخيار... فإذا أثرت فيه فانقاد لربه، واستجاب لدعوته، فهذا خير وإيجابي. وإلاَّ فإذا فشلت في ذلك، فانتبه لمسؤوليتك أمام الله تعالى، فعملك مع أخيك وحبك له بتوجيه الله تعالى لك، وأمر الله مقدَّمٌ على كل شيء وطاعته أساس لكل سلوك، فليكن الله آثر عندك من أخيك، فهو الأكرم عليك منه، وهو الأرحم بك منه، وإليه تعود الأمور. فلا تؤازر أخاك في معصية، ولا تشاركه في انحراف، ولا تشجعه على باطل، ولا تدعمه في ظلم. فحق الأخوة أن تكون

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي - ج٦ ص ٩٤.

سنداً ومعيناً ومواكباً له في كل حالاته لمساعدته في طريق الطاعة لله تعالى.

٣- صلة الأرحام

هنا نطل إطلالة سريعة على صلة الأرحام، وقد اعتبر الإسلام قطيعة الرحم من الكبائر. أما الأرحام المباشرين فهم: الأب والأم والابن والابنة والأخ والأخت والجد والجدة والعم والعمة والخال والخالة، وهؤلاء يتوجه إليهم الإسلام بصلة الرحم التي تتم بالزيارة والاتصال والسلام وما تعارف الناس عليه من بقاء الصلة وعدم انقطاعها، وذلك بحسب قرب المكان وبعده، وظروف العمل وإمكانيات التواصل.

هذه الصلة تعزز التماسك الأسري والعائلي، وتُنمّي العلاقات الاجتماعية والنظرة الإنسانية، وتساعد في تحقيق فوائد عدة تربوية وأخلاقية، وتنسجم مع فطرة الإنسان ككائن اجتماعي يعيش في إطار الجماعة، وتساهم في تجاوز علاقات المصالح والماديات، ولها آثار أخرى من عطاء الله تعالى: كزيادة الرزق وإطالة العمر ودفع البلاء....

عن أبي جعفرعليه السلام: **«صلة الأرحام تزكي الأعمال، وتدفع البلوى، وتنمي الأموال، وتنسىء له في عمره، وتوسع في رزقه،**

وتحبب في أهل بيته، فليتق الله وليصل رحمه»[1].

وعن أبي عبد الله(ع): «**صلة الأرحام تحسن الخلق، وتسمح الكف، وتطيب النفس، وتزيد في الرزق، وتنسىء في الأجل**»[2].

ولا ترتبط الصلة بالتبادل بين الطرفين، فقد يقطعها الطرف الآخر، أو تكون تصرفاته مؤدية إلى النفور منه، ومع ذلك فالحرص على إبقائها واستمراريتها مسؤولية شرعية. قال أمير المؤمنين(ع): «**صلوا أرحامكم وإن قطعوكم**»[3].

وعن أبي ذر(رض) عن رسول الله(ص): «**وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت**»[4].

وعندما سُئل الإمام الخامنئي(حفظه الله) عن أخ لا يراعي الأمور الشرعية والأخلاقية، ولا تنفع معه النصيحة، أجاب: «يجب عليك إظهار الاستياء من هذه التصرفات المخالفة للشرع، وتذكيره بأي أسلوب أخوي تراه مفيداً وصالحاً، ولكن لا تقطع الرحم فإنه غير جائز»[5].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني - ج٢ ص ١٥٢.

(٢) الكافي للشيخ الكليني - ج٢ ص ١٥١.

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي - ج١٥ ص ٢٢٣.

(٤) الخصال للشيخ الصدوق - ص ٣٤٥.

(٥) أجوبة الاستفتاءات - ج١ ص٣٤٠.

٤- الأخ في الله

وسَّع الإسلام دائرة الأخوَّة، لتشمل الأخ في العقيدة والإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[1]، وهو بذلك يجعل رابطة الإيمان تحمل تفاعلات وآثار رابطة أخوة الدم في الحب والتفاعل والإيثار والتضحية، ويستثنى منها ما حرَّمه الله وأحلَّه. وهو يؤكد على أهمية العلاقة بين المؤمنين لتكون مبنية على قاعدة الإيمان لا على قاعدة المصلحة. فرابطة الإيمان تتجاوز الفوارق المادية بين الغني والفقير، بين صاحب المركز الاجتماعي والإنسان العادي،، وهي تجمعهم في صلاة واحدة وأهداف واحدة، ومن ابتغى البدلية والأجر فأجره على الله تعالى، فما بالك إذا اجتمعت أخوة الدم مع اخوة الإيمان.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**رب أخ لك لم تلده أمك**»[2]، وهو يحمل المواصفات التي تشكل السند والدعم لمواجهة تحديات الحياة الدنيا. فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله، لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه، ولا يعده عِدة فيخلفه**»[3].

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٠.

(٢) غرر الحكم - ٩٧٥٢.

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي - ج١٢ ص ٢٠٥.

ومن المفيد استعراض بعض مواصفات ومنافع الأخوة في الله تعالى، والتي تبين المقياس الأفضل لأداء مريح ومؤنس، بعيد عن الهوى والآثام.

٥- كان لي أخ

خطب الإمام الحسن بن عليﷺ في الناس فقال: «أيها الناس، أنا أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظم به في عيني، صغر الدنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد ولا يكثر إذا وجد، كان خارجاً من سلطان فرجه، فلا يستخف له عقله ولا رأيه، كان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمد يده إلاً على ثقة لمنفعة، كان لا يتشهى ولا يتسخط ولا يتبرم، كان أكثر دهره صمّاتاً، فإذا قال بذَّ القائلين، كان لا يدخل في مراء، ولا يشارك في دعوى، ولا يدلي بحجة حتى يرى قاضياً، وكان لا يغفل عن إخوانه، ولا يخص نفسه بشيء دونهم، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الجد كان ليثاً عاديا، كان لا يلوم أحداً فيما يقع العذر في مثله حتى يرى اعتذاراً، كان يفعل ما يقول ويفعل ما لا يقول، كان إذا ابتزَّه أمران لا يدري أيهما أفضل؟ نظر إلى أقربهما إلى الهوى فخالفه، كان لا يشكو وجعاً إلاً عند من يرجو عنده البرء، ولا يستشير إلاً من يرجو عنده النصيحة، كان لا يتبرم ولا يتسخط ولا يتشكّى ولا يتشهى ولا ينتقم ولا يغفل عن العدو، فعليكم بمثل هذه الأخلاق الكريمة إن أطقتموها، فإن لم

تطيقوها كلها، فأخذ القليل خير من ترك الكثير، ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله»[١].

٦- المودة

تزداد الأخوة منعة ومتانة بالمودة، ولا تنتظر أن يبادرك أخوك بها، بل بادره أنت. فعن أمير المؤمنين عليعليه السلام : **«لا يكن أخوك أقوى منك على مودته»**[٢]. فالتنافس في الحب والمودة والتسابق نحو العطاء والخير يعزز منطق الأخوة على أساس الإيمان. أما إذا كانت المودة شكلية ولفظية، وتنطلق من المصالح المادية الآنية، وتسقط عند الملمات والمهمات، فهي غير نافعة ويجب الحذر منها، فعن أمير المؤمنين عليعليه السلام : **«من لم تكن مودته في الله فاحذره، فإن مودته لئيمة، وصحبته مشؤومة»**[٣].

إن الحرص على الأخوة يستدعي تثبيتها، فلا يكفي التباني عليها، ولا اعتبارها معروفة وقائمة منذ زمن طويل، بل المفيد تأكيدها بخطوات تفيد هذا المعنى، ومنها إعلام أخيك بحبك له، ولو تكرر هذا الأمر مرات عدة وفي أزمانٍ وظروف مختلفة. قال رسول اللهصلى الله عليه وآله : **«إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه، فإنه أصلح لذات**

(١) شرح أصول الكافي للمازندراني ـ ج٩ ص ١٧٠.

(٢) كنز الفوائد لأبي الفتح الكراجكي ـ ص ٣٤.

(٣) غرر الحكم ـ ٩٧٠٥.

البين»[1]. إن كلمة الحب تترك أنساً في النفس، وتثير مشاعر المودة، وتؤكد على الحالة العاطفية المطلوبة بين الأخوين. ألا تلاحظ أثر هذه الكلمة على ابنك وهو يسألك مراراً بحبك له؟ وأثرها على الزوجة وهي تهتم بمعرفة أحاسيس زوجها تجاهها باستمرار؟ وأثرها على المتعلم عندما يطلقها المعلم أمامه؟....

٧- مواصفات الأخ

لن أطيل عليك، وما عليك إلاّ اتباع هذه التوجيهات العظيمة للنبيﷺ والأئمةعليهم السلام، لترتاح في علاقة الأخوة وتحسن الاستفادة منها.

أحسن اختيار إخوانك، فإن خيرهم من سار بك في طاعة الله تعالى. قال رسول اللهﷺ: «**خير إخوانك من أعانك على طاعة الله، وصدك عن معاصيه، وأمرك برضاه**»[2].

قال الإمام عليعليه السلام: «**خير إخوانك من دلّك على هدى، واكسبك تقى، وصدك عن اتباع الهوى**»[3].

هذا الأخ لا يوفر توجيهاً ولا عوناً ولا نصيحة نافعة، لأنَّ:

---

(١) بحار الأنوار- ج٧١ ص ١٨٢، عن نوادر الراوندي.

(٢) مجموعة ورام - ج٢ ص ١٢٣.

(٣) غرر الحكم - ٩٤٨٥.

«المؤمن مرآة أخيه المؤمن»[1] كما قال رسول الله ﷺ.

وتنطبق عليه المواصفات التي ذكرها أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«إن أخاك حقاً من غفر زلتك، وسد خلتك، وقبل عذرك، وستر عورتك، ونفى وجلك، وحقق أملك»**[2].

وبما أن المحافظة على الأخوة أصل، يجب تجنب ما يعكر صفوها، والمبادرة إلى معالجة الخلافات والمشاكل على قاعدة الإصلاح والعفو. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[3].

وفي الحديث: **«ملعون رجل يبدأه أخوه بالصلح فلم يصالحه»**[4].

وليكن الأولى هو البحث عن عذر لخطأ أخيك أو تصرفه، ففي الحديث الشريف أيضاً: **«احمل أخاك المؤمن على سبعين محملاً من الخير»**[5].

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ـ ٧٦٨.

(٢) عيون الحكم والمواعظ لليثي الواسطي ـ ص ١٥٤.

(٣) سورة الحجرات الآية ١٠.

(٤) كنز الفوائد للكراجكي ـ ص ٦٣.

(٥) الحدائق الناضرة للمحقق البحراني ـ ج١٥ ص ٣٥٣.

والاً إذا ابتعدت عن إخوانك عند أي خطأ منهم، فلن يبق لك أخوة، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«من جانب الأخوان على كل ذنب قلَّ أصدقاؤه»**[1].

إنها صفة سلبية في شخصيتك عندما تعجز عن المحافظة على إخوانك بسبب طريقتك في التعاطي معهم، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم»**[2].

وهنا تبرز العقدة الكبرى في أن تكون حساسيته مفرطة، وظنونه كثيرة، ولا يتحمل أي ملاحظة. فعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: **«ليس لك بأخ من احتجت إلى مداراته»**[3]. وعنه أيضاً: **«شر الإخوان من تُكلِّف له»**[4]. فانتبه حتى لا تكون هذه الصفات في شخصك تجاه إخوانك.

ولتكن قواعد العلاقة محكومة بهذه التوجيهات لأمير المؤمنين علي عليه السلام: **«وإن أردت قطيعة أخيك، فاستبقِ له من نفسك بقية ترجع إليها إنْ بدا له ذلك يوماً ما. ومن ظنَّ بك خيراً فصدِّق ظنه، ولا**

---

(١) عيون الحكم والمواعظ لليثي الواسطي ـ ص ٤٤٣.

(٢) نهج البلاغة ـ الحكم والمواعظ رقم ١٢.

(٣) غرر الحكم ـ ٩٥٥١.

(٤) نهج البلاغة ـ الحكم والمواعظ ٤٧٩.

تضيعنَّ حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه، ولا يكن أهلُك أشقى الخلق بك، ولا ترغبنَّ فيمن زهد فيك، ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته، ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان»[1].

(١) نهج البلاغة ـ كتاب ٣١ من وصيته للإمام الحسن عليه السلام.

المصادر

١ ـ القرآن الكريم ـ كتاب الله الخالد.

٢ ـ نهج البلاغة ـ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

٣ ـ تحف العقول ـ ابن شعبة الحراني.

٤ ـ شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد.

٥ ـ غرر الحكم ـ الآمدي، عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد.

٦ ـ كنز الفوائد ـ أبي الفتح الكراجكي.

٧ ـ السنن الكبرى ـ البيهقي.

٨ ـ وسائل الشيعة ـ الحر العاملي ـ صادر عن مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث

٩ ـ تحرير الوسيلة ـ الإمام الخميني(قده).

١٠ ـ أجوبة الاستفتاءات ـ الإمام الخامنئي(حفظه الله).

١١ ـ ميزان الحكمة ـ الريشهري، محمدي.

١٢ ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام ـ الصدوق، محمد بن علي الحسين بن بابويه القمي.

١٣ ـ الخصال ـ الشيخ الصدوق.
١٤ ـ الأمالي ـ الشيخ الصدوق.
١٥ ـ من لا يحضره الفقيه ـ الشيخ الصدوق.
١٦ ـ مكارم الأخلاق ـ الشيخ الطبرسي.
١٧ ـ الاحتجاج ـ الشيخ الطبرسي.
١٨ ـ الكافي ـ الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب.
١٩ ـ عيون الحكم والمواعظ ـ الليثي الواسطي.
٢٠ ـ كنز العمال ـ المتقي الهندي.
٢١ ـ شرح أصول الكافي ـ المازندراني.
٢٢ ـ الحدائق الناضرة ـ المحقق البحراني.
٢٣ ـ بحار الأنوار ـ العلامة المجلسي.
٢٤ ـ مستدرك سفينة البحار ـ النمازي، علي.
٢٥ ـ مجموعة ورام.

الفهـرس

إهداء ٥
مقدمة ٧
إطلالة ١١

الحلقة الأولى: حق الأم

١ - انسانة عظيمة ١٥
٢ - حملتك حيث لا يحمل أحد أحدا ١٦
٣- تضحية الأم وشكر الابن ١٨
٤- الجنة تحت أقدام الأمهات ٢١
٥- حق الأم ثابت ٢٢
٦- التقصير لا يلغي حقها ٢٣
٧- بين الطاعة والإحسان ٢٤
٨- طاعة الابن لها صغيراً وإحسانه إليها كبيراً ٢٥
٩- التدخل في حياة الأبناء ٢٦

١٠- رأي الأم في زواج البنت ٢٨
١١- تأثير الأمهات في الأبناء ٢٩
١٢- الهوى والطاعة ٣١
١٣- التوجيه الفاسد ٣١
١٤- الغرب ومجتمعنا ٣٣

الحلقة الثانية: حق الأب

١- لولاه لم تكن ٣٧
٢- حدود حق الطاعة للأب ٣٩
٣- اختلاف الرأي ٤٣
٤- الأبوة الثابتة ٤٤
٥- أهمية دور الأب ٤٤
٦- الابن الأكبر يقضي عن أبيه ٤٥
٧- احترام الابن لأبيه ٤٧
٨- أبوة علي عليه السلام . . إطلالة سريعة ٤٨
٩- الأب المقاوم ٤٩
١٠- مقارنة بين حق الأم وحق الأب ٥٠
١١- كيفية الإحسان للوالدين ٥١

الحلقة الثالثة: حق ولدك (الجزء الأول)

١- حقوق الابن على أبيه ٥٧

٢- مسؤولية عمل الابن ٦١
٣- أولادكم فتنة ٦٣
٤- من يرعى ومن يربي ٦٥
٥- منشأ عُقد الطفولة ٦٥
٦- ضوابط التربية السليمة ٦٧
٧- مراعاة الولد أمام الآخرين ٦٩
٨- أسلوب الضرب ٧٠
٩- أعِنْ ولدك على برِّك ٧٣
١٠- نمّو شخصيتهم ٧٤
١١- تقاليد المجتمع الشرقي ٧٥
١٢- التمييز بين الفتاة والصبي ٧٧
١٣- أسلوب المجتمع الغربي مع الأطفال ٨٠
١٤- بين البلوغ وسن الثامنة عشرة ٨٢
١٥- نصيحة ٨٤

الحلقة الرابعة: حـق ولـدك (الجزء الثاني)

١- التعامل مع المرحلة العمرية للولد ٨٧
٢- البيئة التربوية المؤثرة ٩٥
٣- دور الصحبة ٩٨
٤- الأسئلة عن الجنس ١٠٠

الحلقة الخامسة: حـق الأخ

١- الأخ في إطار الأسرة ١٠٧
٢- قواعد السلوك ١٠٩
٣- صلة الأرحام ١١١
٤- الأخ في الله ١١٣
٥- كان لي أخ ١١٤
٦- المودة ١١٥
٧- مواصفات الأخ ١١٦
المصادر ١٢١
الفهرس ١٢٣

صدر للمؤلف

* معالم للحياة من نهج الأمير ﷺ.
* عاشوراء مددٌ وحياة (طبعة ثانية).

سلسلة شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين ﷺ (سبعة أجزاء):

* ١ ـ حقوق الجوارح (طبعة سادسة)
* ٢ ـ حقوق الوالدين والولد (طبعة سادسة).
* ٣ ـ حقوق الأفعال (طبعة رابعة).
* ٤ ـ حقوق الزوج والزوجة (طبعة خامسة).
* ٥ ـ حقوق المعلم والمتعلم (طبعة رابعة).
* ٦ ـ الحقوق الثلاثة (طبعة رابعة).
* ٧ ـ حقوق الناس (طبعة رابعة).

* رسالة الحقوق بأجزائها السبعة مجموعة في علبة فنية.

* حزب الله: المنهج.. التجربة.. المستقبل (طبعة ثالثة).
* سبيلك إلى مكارم الأخلاق (طبعة ثالثة).
* قصتي مع الحجاب (طبعة رابعة).

* صدرت هذه الكتب عن دار الهادي ـ لبنان

* HIZBULLAH the story from within - SAQI - LONDON

* حزب الله لبنان ـ خط مشى گذشته وآينده آن

انتشارات اطلاعات، تهران.

HTTP: //WWW.naimkassem.org.Email:info@naimkassem.org

حقوق الوالدين والولد

هذا هو الجزء الثاني وفيه :

صلاحيات الولد ومسؤولية الأهل.

بين الطاعة والاحسان.

بين تربيـــة الصبي والفتـــاة.

والاجـابة عن الاسـئلة الحرجـة.

دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع

هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٠٥٤١١٩٩

ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان

E-Mail: daralhadi@daralhadi.com

URL: http://www.daralhadi.com

Designed by R. Sedik